صرخ الثاني ببهجة، صعق لها الأول، وعادت نذر الغضب بسرعة تلوح في الأفق، وسحبه السوداء الفاقعة، شرعت تطل برأسها من كلماته:

- بل... إنها النقمة... نقمة حقيقية. الحياة بلا ذاكرة حيّة نشطه، تصنع. لها جسوراً، قوية، متينة، تربط الأمس باليوم واليوم بالغد... هي العدم بعينه.

- على الضد، على الضد.

أصرّ الثاني على موقفه، هاملاً، ارهاصات العواصف والزوابع التي تترا ءى على وجه صاحبه، وإستمر يشرح له:

- بوجودها، أعني الذاكرة، تغدو الحياة مأساة، فاجعة حقيقية، إذ تمتد مخالب الماضي الدموية، من خلالها، فتمسك بخناق كل لُحيظه فرح قد تخطيء طريقها وتطرق بابك، لتسكنك بعض الوقت. كما أن أفواه المستقبل الشرهة النهمة، الشرسة جداً، تحدّ أنيابها، لتفترس وتلتهم كل هنيهة راحة تحتضنك.

كان الأول يصغي إليه بصبر يقضم رصيده...

- ها...؟ وبعد... وبعد...

- بينما يدونها، بدون الذاكرة التي نقصدها، يظل الواحد منا يتعامل مع اللحظة، بل ومع الزمن كله ببرا ءة... ونقاء... وتوليه، تحسده عليها قديسات الدنيا والآخرة، إذ يرينه أعذر... محتفظاً ببركاته الى الأبد.

نجح في كبح جماح غضبه، وهو يقول... بإنفعال يخنقه الهدوء... الذي يصطنعه... مضطراً:

- هراء!! في هذا الزمن الشاذ، المنحرف، لابكارة تبقى سليمة الى الأبد...

تسلح الثاني بعناد البغل:

- بل تبقى... خاصة إذا عرف المرء كيف يصونها ويحافظ عليها. وبالضبط إذا فقد ذاكرته، المعجونة بمآسي الماضي. ومخاوف المستقيل، وحنّط نفسه في اللحظة، لايعيش سواها، فيغدو إذذاك مثل طفل رضيع، شرع لتوه يتنفس هواء العالم خارج رحم أمه، ففي هذه الحالة...

ولم يدعه الأول يكمل عبارته... إذ طفح به الكيل، بعدما ظل يغلي، منذ

فترة غير قصيرة، كقدر مغلقة فوق نار غير هادئة، فصرخ به:

- كفى... كفى... لعلك لاتعرف، وإذا كنت لاتعرف حتى اليوم، فاعرف منذ الآن، أن واحداً من أشد الأمور التي تصيبي بالقرف والهستريا، هو التفلسف والفلسفة..

- ولكني لا أتفلسف ولا أعرف شيئاً عن الفلسفة... وأنا...

- إسمع... أنت تسمع حسب... لاتعتبرني ضعيفاً، أو غير قادر على إلحاق الأذى بك، لأني لاأملك ذراعين، اني قوى كالثور، بنطحةٍ من رأسي أبقَرُ لك بطنك.

تراجع الثاني... كما إعتاد أن يفعل، كلما رأى في التراجع السلامة...

- أنا... في الحقيقة... أنا...

قاطعة الأول، مواصلاً هجومه، بكل عنفه:

- أنت تفكر... وهذا وحده كاف أن أنسى كل صداقتنا، وأعتبرك واحداً من ألدّ اعدائي، وإذ أعتبرك كذلك، أمنح نفسي الحق، كل الحق، في شق بطنك وترك أحشائك الداخلية تندلق، بلارحمة ولا شفقة. ولا حتى، أي تأنيب ضمير... أسكت... أسكت... ولا تتماد...

لزم الثاني الصمت. ولكن الأول الذي هاج لم يلزمه، بل إخترق كل حدوده، وصرخ به آمراً، أسكت... أسكت، كلما خُيّل اليه إنه يهم أن يفتح ياه، مع أن الولد إبتلع لسانه تماماً، وراح يرنو إليه يرعب حقيقي ينمو... ويتسع. وهو يقلده مستهزءاً:

- الإنسان لحظة! الإنسان طفل، البكارة تبقى... كذا وكذا.

وصرخ فيه بقسوة: الإنسان ياهذا تاريخ. تاريخ متواصل الحلقات... متصل الفقرات. هذه تؤثر في تلك... وتلك تؤثر في هذه وتتأثر. أن ما تقوله هراء، محض هراء وإفتراء و... و... خراء...

شرع الثاني يتوسل به، يزرعه بالقُبل من قمة الرأس حتى أخمص القدمين:

- أرجوك. لاتقسَ على، أرجوك... إرحمني...

بينما يشمخ الأول بأنفه، ويتمادى في تعاليه وتكبّره، ويقول بصوت

متهدج، مدوي كما لو كان صادراً من كهف مهجور:

- لا... رحمة... بالخاطيء، لاغفران... للمذنب...

ويتمادى الثاني في إذلال نفسه وطلب المغفرة.

- لا... لاتغلق في وجهي... أبواب المغفرة... لاتغلق أمامي أبواب الرحمة.

شرع الأول يلين:

- لست أنا الذي أغلقها... ياسيدي...

- مَنْ؟ إذن مَن؟

تساءل الثاني وهو يوشك أن ينحرط في البكاء... بينما إنحرط الأول في البكاء فعلاً... وهو يقول بصوت متقطع. تخنقه الدموع:

- هم... هم... قساه القلوب، غلاظ الأفئدة، معدومو الروح... الذين قطعوا كلتا يدي، وأغلقوا في وجهي كل الأبواب، ولم يتركوا لي حتى يداً واحدة، افتح بها باباً... واحداً... لك...

وإنغمر في بكاء حاد متشنج متواصل، لم يستغرب الثاني حاله، فقد إعتاد منه هذه التحولا ت الإنقلابية، والحالات المفاجئة الصاعقة... التي يلقى بنفسه، في خضمها... بلا مقدمات. ولا سابق إنذار أو تحذير... فتركه، على راحته، يسفح دموعه المدرارة، بغسل بها همومه وأحزانه، ويرثي ذراعيه... ويصب اللعنات، تلو اللعنات على ملوك النفط وأمرائه، دون توقف ولا تنفس... لماسببوه له من عاهة دون وجه حق...

٣ - الجنون والعقل

قال الثاني يواسي صديقه، ويخفف عنه إحساسه الشنيع بالإحباط الشامل:

- لاتحزن يا صديقي. سيأتي يوم تعرف فيه نفسك، وإذذاك سوف تقدرها حق قدرها.

قال الأول، وطعم الفشل، في كل شيء، حتى إحترام نفسه يملأ فمه بمرارة لاحدّ لها:

- لا. لا... لاأحد يعرف نفسه، لاأحد بوسعه أن يعرف نفسه.

- بل هناك، هناك من يعرف نفسه.

أخبر الثاني بيقين إستفز الأول وأثار فضوله وإستنكاره في الوقت نفسه:

- أين؟ دلّني...

قالها بنبرة تحدٍّ، يمكن أن تفضي الى الشجار والعنف، بينما أجاب الثاني ببرود، لايعكس أية رغبة في تصعيد الموقف:

- ببساطة، ببساطة شديدة، في مستشفى المجانين.

خفف الأول من غلوائه، بعض الشيء. وأحلّ، محل التحدي، في نبراته، ماينمُّ عن التوسل، أو... أو الرجاء... والإلتماس:

- أودّ لو ألتقي... بواحد منهم...

أجاب الثاني، غير حافل بتوسلاته... بل ومستهيناً بها.

- لا. لاسبيل. ثم أضاف في وقار أبٍ ينصح إبنه الصغير:

- يُمنع العاقل من اللقاء بالمجنون.

- لماذا؟

تساءل الأول بدهشة. مشوبة بنفاد صبر، يكاد يحلّ محل فضوله:

- لأن... لأن... وسكت.

بينما إستحال وجه صاحبه الى علامة إستفهام. لم يعرف ماذا يقول، إذ لم يكن قد هيأ في ذهنه أي جواب لهذا السؤال المفاجيء، إضافة الى أن ملامح صديقه التي راحت تنتفض... ونظراته التي أخذت تتقد. قد جعلتاه يتوجس منهما... خيفة، أربكته بعض الوقت. وإذ تدارك أمره، وللم نفسه... أسرع بقذف ماتشكل في ذهنه من كلمات، دون ترو. ولا إهتمام بمقدار ماتنطوي عليه من صدق، أو قدرة على إقناع صاحبه:

- لأن... لأن العاقل والمجنون، حين يلتقيان. يتبادل العقل والجنون موقعيهما الداريين... أعني... أعني... وضيفتيهما... ألأ... ألأ...

أسرع الأول يقاطعه، بإستهانة:

- ليتبادلا. ماالذي يحدث؟ أي ضرر في ذلك...

أجاب الثاني وهو يسبغ على كلماته... أقصى ما يملك من قدرة على إضفاء الإهتمام، مستخدماً كلتا يديه، وجميع أصابعه:

- هو هو هووه... كارثة... ياصديقي العزيز، كارثة أكبر وأخطر من تصادم جرمين سماويين...

نفد صبر الأول تماماً. فهجم عليه بوحشية، وشرع ينطحه بشدة وعنف. كما ينطح كبش مجنون شبق نعجة بائسة مسكينة، عجزت أن تريحه كما ينبغي:

- هراء، ماتقول محض هراء...
- آخ... آخ... لاتنطحني بهذه القسوة، لم أفعل مايستوجب هذه الوحشية.
- بل فعلت... فعلت مايستوجب وحشية أشد وأقوى وأعنف... ولكني بلا يدين. ولو كانت لديّ يدان، لهرستك هرساً، وعجنتك عجناً... وخبزتك خبزاً... وأكلتك أكلاً... وثم لفظتك نفايةً دسمة للذباب.

بسط الثاني كفيه ورفعهما نحو السماء، إذ صار في منجى من نطحاته:

- أحمدك يارب الحمد كله... أشكرك يارب الشكر كله... وها أنا... أصلي لك... و...

ولم يدعه الأول، إذ عاجله بنطحة قوية من رأسه... أسقطته أرضاً.

- هيا... قدنى إليهم... هيا...

تمرغ الثاني في التراب وهو يئنّ... ويسأله:

هل ضقت ذرعاً بعقلك... إعقَلْ... يا هذا... إعقل. ولا تفرّط بعقلك.

قال الثاني... وهو مايزال يخور كثور هائج... لوّح له أحدهم بلون أحمر:

- هذا العقل الذي يسكن رأسي، أو مكاناً آخر لا أدري أين يقع في جسمي، ذي الأمكنة العديدة، والدهاليز الكثيرة... قد أتعبنى. وبات يوردني... المزالق والمهالك.
- ولكن غيابه لن يريحك، صدّقني... يا عزيزي... صدّقني فانا لك ناصح.
- لا. لا. أريده أن يطير... يطـ... يطـ... يرـ...ررر... يطيـــ... رررر.

أخذ يتمايل يمنةً ويسرة، مثل درويش غلبه الوجد:

- هيا... خذني... هيا قُدني... هيا... هيا... هـ... يـ...يـ...!!!

تماسك الثاني... ونهض من سقطته... وصرخ:

- مستحيل... ماتطلبه... هو المستحيل بعينه.

نطحه الأول نطحه أخرى، أقوى وأشد... ولكن الثاني تجنبها في الوقت المناسب ولم تمسه إلا قليلاً... فصرخ الأول:

- المستحيل كلمة في قاموس المجانين...

وعاد الى رقصته الدرويشية اللولبية المتمايلة، وهو يردد:

- انا لاقاموس لديّ... أنا رجل بلا قاموس.

وزاد دورانه حول نفسه، دوراناً ذاتياً مستمراً. حول الثاني الذي راح يحاربه ويصفق له... ويدور مثله... مترنحاً، وهو يردد... بإيقاع خاص:

- أنت حيوان شره، بعت قاموسك من أجل اكلة...

أنت حيوان شره بعث قاموسك من أجل أكله...

أقلع الأول عن حركاته ودورانه... وراح يرقص... ويردد، مثل الثاني:

- بل من أجل أنثى... دسمه وثيرة. دسمة وثيرة، دسمة وثيرة...

ثم توقف فجأة عن الدوران والرقص وصاح به؛ بالإيقاع نفسه:

- هيا، قدنى إليهم... هيا خذني اليهم... هيا... هيا... هيا...

وبدأ ينطحه ثانية، ويدفعه أمامه، كما ينطح الكبش راعيه. ويدفعه أمامه، والكبش لايدري. والراعي لايدري. اين يسوق... ولا أين يُساق.

٤- الأمم المتحدة تكافح الجائعين!

- أتدري؟

سأل الثاني، طاب للأول أن يمازحه، إذ كان في مزاج رائق الى حد ما. وهي حالة نادراً ما تصيبه، ويجد نفسه متلسباً بها:

- لا. لا أدري.

عاد الثاني يسأل بإستغراب:

- ماهو الذي لاتدريه؟

أجاب الأول بلامبالاة:

- ذلك الذي سألتني عنه.

- وما هو؟

- لا أدري؟

- إذن كيف دريت إنك لاتدري. ربما كنت تدري لو تريثت حتى تسمع السؤال.

- ولكنك يا جحش... يا غبي... يا بليد... لم تطرح السؤال أساساً ولم أسمعه... فكيف أعرف جوابه...

- صدقت. (آمن الثاني وأضاف)... أردت أن أعلمك بأننا إجتزنا مخبزاً.

- مخبزاً، أين؟ متى؟ كيف عرفت؟

- من الحرارة، الحرارة الشديدة التي شوت صفحة وجهي اليسرى.

أجاب الأول متصنعاً الحكمة والتفلسف... والمعرفة...

- الحرارة... وحدها... ليست... دليلاً... كا... كافياً...

- أنت عنبد كالبغل...

- وأنت أحمق كالحمار... خفيف العقل، أو معدومه كالسمكة... و... و جائع.

- جـ..ا...ئع...؟ تساءل بهمس لايكاد يُسمع.

- جائع كالجاموس... الجائع وحده الذي يتعرف على المخبز إذ يمرّ به... لأن أحشاءه الداخلية... تبدأ تتراقص على أنغام الجوع. فأنت إذن جائع... جائع... حتى النخاع... وجو...عك... لا...

هجم الثاني عليه... وسدّ فاه...

- حسناً... حسناً. لاترفع صوتك، لاتصرخ... لاتدع أحداً يسمعك.

تساءل الأول بصوت مخنوق، يتنفس بصعوبة من بين فتحات أنامل صاحبه اللاصقة... بغية:

- نحن... نحن... لانخالف القوانين العامة... ولا الخاصة.

- بل نخالف. وندوس عليها، وفي أشد مناطقها حساسية وقدسية. وبأقدامنا وبأقدامنا المشبعة بالوحول والأقذار... تعال... تعال...

وجرّه نحوه بقوة:

- ثمه لجنة منبثقة من هيئة الأمم المتحدة، إسمها لجنة مكافحة الجوع، ماتسمع بنا حتى تطير إلينا على جناح السرعة... وتكافحنا.

تساءل الأول، الذي داهمه جوع شديد السرعة... و شرعت سكاكينه تمزّق أحشاءه:

حقاً...حـ... حقاً...؟

- ولهذا السبب تخصص لها الدول الأموال الطائلة والمعدات الفتّاكة واللوازم القانونية، من قوت شعوبها وحاجاتهم المادية والمعنوية...

إستحال الأول الى كتلة من الفضول، يجوّفها الخوف والجوع:

- تعني... تعني... أن الدول تجوّع ناسها... وتُشبعُ هذه اللجنة؟

- لكي تصبح قادرة على إفناء الجائعين في لمح البصر، ولا يعودوا ينابيع للقلق والأرق، والفوضى والإضطراب... لأثرياء العالم...

أخذ الأول يتلوى:

- و... ومع... هذا... لايزال العالم يفيض بالجوع والجائعين... آخ... آه... آخ.

وراح نطوي على نفسه حتى يكاد يتكرر، وهو يصرخ، متوجعاً... متألماً... بحرقة... أحاطه الثاني بذراعيه... كما تحيط الأم الرؤوم وليدها الخائف

البردان... برقة وحنان:

- ما بك؟ ماذا جرى لك؟ قبل هنيهة كنت في أحسن حال...

شرع الأول يبكي ويولول، والدموع تنحدر على وجنتيه ولا يستطيع حتى مسحها، أو تجفيفها:

- الجوع... الجوع أنشب مخالبة في معدتي... كشرّ عن أضراسه وأنيابه الذئبيه وأخذ يفترسها... يمزقها، يقطعها... آه... أنجدني... ياصديقي. أسعفني. الجوع... يأكل معدتي وأمعائي... و...

- أتركه... أتركه. يأكل... خبر مايفعل... دعه يأكلها حتى يأتي على آخرها.

زعق الأول:

- كيف؟ ياهذا... كيف؟

- لم يقل العلماء، ولا القدماء، عبثاً، أن المعدة بيت الداء، فهي حقاً مستنقع الأمراض والآفات والكوارث... والزلازل... والبراكين... و...

قاطعة الأول، إذا بدأ له إنه لاينوي التوقف، بقلق متصاعد:

- و... ولكن كيف أعيش بدونها... كيف أحيا من غيرها...

أجاب الثاني بثقة ويقين صارمين يفتقر إليهما حتى فتّاح الفال:

- أرغد حياة... أسعد عيش... أرغد عيش... أسعد حياة.

وفشل كل حماسه وتأكيده المبالغ فيه، أن يحملا اليه، ذرة واحدة من الإقتناع فظلّ يهز رأسه، رافضاً أن يتخلى عن معدته، مما دفع الثاني أن يسير أبعد في محاولا ته ويقول:

- فكرّ... فكر... ياحمار... أليست هي التي دفعتك الى السرقة حين كنت هناك في الغربة؟

طاطأ الأول رأسه موافقاً. فمنح الثاني، دون قصد، شحنة قوية من الأصرار والإستزادة في المحاولة.

- أليست السرقة هي التي إبتلعت كلتا ذراعيك؟

صرخ الأول وقد بلغ به الضيق أقصى مداه... وهو يضرب الأرض بقدميه:

- بلى... بلى إلامَ تريد أن تصل...

- الى ضرورة خلعها من بطنك.

وأضاف نبرة خاصة:

- إلا... إذا كنت راغباً في التضحية بالمزيد من أعضاء جسمك في سبيل صاحبة الجلالة. الملكة المتربعة على عرش بطنك.

بكى الأول بمرارة. ودموع غزيرة:

- لا. لا... كفاها... ما أخذت... مني.

- إذن دع الجوع يأكلها... أو... أو أسرع واخلعها من على عرشها... وقدمها لقمة سائغة للكلاب السائبة، هذه الخائنه القذرة، التي لاتساوى قلامة ظفر، من أظفارك العشرة، التي فقدتها كلها دفعة واحدة من أجلها... أو... أو... في سبيلها.

عاد الضيق يحاصر. ويعصر روح الأول:

- ولكن، كيف... يا إلهي... كيف؟ ماذا أفعل... ماذا ينبغي أن أفعل؟

- إفعل... كما تفعل سائر الشعوب إذ تضيق ذرعاً بملوكها، فتسوقهم الى ساحات الإعدام... أو تذبحهم كالنعاج وهم في حظائرئهم...

هزّ الأول رأسه بحيرة وقلة حيلة... بينما استمر الثاني. دون أن يفترّ حماسه الذي شرع يضعف صاحبه إزاءه. يؤججة ويُلقِم نيرانه المزيد من الحطب اليابس... المبلول بالزيت:

- خذ الشعب الروسي مثلاً الذي ذبح كل قياصرته، في لمح البصر، أجمل... ذبح... وقبله الشعب الفرنسي... قطع رؤوس كل ملوكه أنظف قطع دون قطرة واحدة من الدم... وجاءوا بغيرهم في غمضة عين.

إنفجر الأول إنفجاراً شديداً:

- وما الجدوى ياحمار... ما الجدوى يابغل... إن كل من يجلس في مكان المعدة، يصبح معدة.

ورفع رأسه الى السماء... وودّ من أعماقه... لو كانت يداه، ما تزالتان معه... ليرفعهما... أيضاً، نحو السماء، متوسلاً، مبتهلاً...

- آه. ليتك يارب... ياقادر ياقدير... يا من خلقت الإنسان في أحسن تقويم لم

تضع في جوفه هذه الجيفة، النتنه الشرهة الشرسة... المدعوة... المعدة... أو على الأقل... لم تمنحها هذه السطوة... والنفوذ... عليه...

صاح به الثاني بغضب متقد...

– إخرس يا هذا... أخرس... لا إعتراض على مشيئة الله، وأرادته، جلّت قدرته...

وحين همّ الأول أن يفتح فاه، دفاعاً عن نفسه، ونفياً لظنون صاحبه السيئة به، عاجله بصفعة قوية... وصرخة... مدوية:

– أقول إخرس، إخرس ولا كلمة... ولا حرف... ولا حس...

الجّزارون الشعراء . الشعراء الجّزاروُن!

كانا يسيران معاً. الثاني يتقدم الأول بضع خطوات. صاح الأول، الذي يتأخرُ عن الثاني بضع خطوات بصوت عالٍ لكي يسمعه بوضوح:

– الجزارون باتوا يملأون الدنيا...

قالها بلا أية مناسبة.

أهمله الثاني، لم يلتفت نحوه، لم يعلق بشيء، بالرغم من إنه سمعه جيداً. رفع الأول صوته، إذ حسب أن الثاني يسبقه بضع خطوات لم يسمعه ولهذا السبب لم يردّ عليه بشيء:

– إينما تلتفت تلقَ جزاراً.

إلتفت الثاني، هذه المرة، نحو بسرعة. صارخاً كمن عثر فجأة على كنز عظيم أو إكتشف سراً رهيباً من أسرار الكون:

– أنت جزار.

قالها كحقيقة ثابتة، وبيقين جازم، كمن يقول لأبيه. يارجل أنت أبي أو يقول لإبنه... ياولد أنت إبني.

– أنا ؟

إختضّ الثاني مرعوباً بإستنكار شديد، كأنه يدفع عن نفسه تهمة خطيرة تسوقه الى الإعدام، وأضاف بكلّ مايملك من قوة وحرارة وحماس وهو يضرب الأرض بقدميه:

– لست كذلك، لست كذلك البتة!

بينما أصرّ الثاني:

– ولكني تلفتُّ... ورأيتك. إذن لابد أن تكون جزاراً. وأبوك أيضاً جزّار.

أسرع ينفي بشدة:

- لا... لا... أبداً.

ثم أضاف وهو ينفخ أوداجه. ويضخِّم نبرة صوته:

- أبي... أبي شا... عررر.

أجاب الثاني بإستهانة، لاتناسب هذا الإهتمام الأعظم الذي يسبغه الأول على كلامه وهو يتحدث عن أبيه بإقتضاب شديد:

- لا فرق.

ثار الأول، وعاد يضرب الأرض بقدميه. مثيراً غباراً كثيراً وهو يكاد يُجَنُّ.

- كيف لافرق؟ الشاعر شاعر. والجّزار جزار... والفروق بينهما كثار و... كبار.

ردّ الثاني ببرود:

- لافرق، لافرق البتة، مادام كلاهما يذبح.

إستمات الثاني في الدفاع عن أبيه وشاعريته...

- بل ثمة فرق... وإختلاف. بل. بل... فروق كثيرة وإختلافات عديدة... في... في المذبوح...

أجاب الثاني بيقين لايتزعزع ولا يهتز، جواب العالم العارف بكل شيء...:

- وأيّ فرق ياحمار؟ هذا يذبح الخراف المسكينة والحيوانات البائسة، وذاك يذبح الكلمات البائسة والحروف المسكينة. وهي كلها كائنات لاحول لها ولا قوة...

هزّ الأول رأسه بحزن، يرثى هذه الكائنات:

- لاحول ولا ... قوة إلا بالله...

وأراد أن يضرب كفا يكف، متشبهاً بأبيه الذي رآه أكثر من مرة يفعل كذلك، كلما هرب من سكينه التي قضى ساعات في حدّها وتلميعها خروف أو عنزة... أو إستعصى على قلمه الذي قضى شهوراً وهو... يبريه ويحدّه حرف... أو كلمة... ولكنه إكتشف إنه بلا بدين وبالتالي بلا كفين... فاخترقه ألم حادّ أحدّ من سكين الجزار وأنفَذُ الى القلب من قلم الشاعر... فتفجّر في عينه ينبوع دمع... ممزوج بالدم، بينما واصل الثاني مستمتعاً بساديته وملتذاً بما يوقعه... بصديقه:

- الأثرياء يأكلون لحوم الحيوانات. وملوك النفط والأمراء يأكلون لحوم الكلمات. ثم يمسح أولئك شفاهم بمناديل ورقية صنعتها الشركات الأمريكية... وهؤلاء يجففون أفواههم بجلود بشرية غسلتها مياه البحار العربية، وطهتها رمال الصحراء العربية... وشوتها نيران الشمس العربية.

داخ الأول. وكاد يسقط على قفاه، فقد هاله وحزّ في نفسه الى أبعد حد أن يكتشف بأنّ أباه جزّار يذبح الكلمات. وشاعر يذبح الخرفان، ليطعم ملوك النفط الأوغاد وأمراءه الأنذال. أولئك اللصوص السفلة الذين سرقوا منه، في وضح النهار وأمام عيون كل البشر، كلتا ذراعيه.

لم يجد في كل مفردات لغته عبارة، ولا حتى كلمة ترتفع الى مستوى المقام، لقولها، فآثر الصمت... والدخول الى نفسه، يعضّها... يضربها دون توقف... وبلا رحمة.

جثم الصمت بينهما، جبلاً لاسبيل الى إختراقه... أو زحزحته لفترة طويلة... حتى ملّ الجبل نفسه. وشرع يتململ... فإنتهز الثاني الفرصة وقال لصديقه برقة. وهو يربت على ظهره بمودة:

- وداعاً... يا صديقي... وداعاً...

- وداعاً؟

صعق الأول وصرخ مفجوعاً، مذعوراً:

- مـ... مـ... ماذا... تعني؟

أجاب الثاني ببساطة، ودون أي إنفعال... أو تأثر:

- لا أطيق الحياة معك.

توسل اليه الأول. باكياً... منتحباً:

- أرجوك... أرجوك.

لم يحفل الثاني برجائه، ولا توسلاته.

عقد يديه خلف ظهره وراح يبعد عنه بخطوات سريعة واسعة... لحق به الأول لاهثاً... وأخذ يتقافز أمامه... ويرسل إليه... نظرات... إستجداء... مثل شحّاذ...

يكاد يموت... وهو واقف أمامه:

- أ... أ... أرجوك... إسمعني... إسمعني... إسمعني حسب... لا. لاتتركني... أنا... أنا... لست ثرياً... ووو... لا... أملك... أو... أمير پترول... ثم... ثم... أنت نفسك... لست خروفاً... ولا ... كلمة... و...

إكتفى الثاني بأن قال، بنبرة تقطر أسى... وهو يزيحه من أمامه:

- من يدري... ياهذا... من يدري؟؟

علي مردان يتفجر...
بدموع من حصىً وحجر

لم يَفِضْ بعلي مردان إحساس بالعزلة والوحدة، بهذا القدر من المرارة، كما يفيض به الآن، بالرغم من أنه وسط أناس عديدين، وفي حديقة غنّاء مزدانة بالزهور والرياحين، ومحاط بمجموعة من الأحبّة، يحومون حوله، في حركة دائبة لاتكاد تتوقف. وكل إهتمامهم يتبأور حوله. وكل عنايتهم تنصبُّ عليه، وحده دون غيره، فقد غدا شغلهم الشاغل ولم يعد لهم من شغل يشغلهم سواه...

وإهتمامهم هذا من نوع غريب، لم يحظ بمثله من قبل، هذا يرنو إليه عبر هالة من الإجلال والإحترام. ذاك يتلمس وجهه بقدسيّة ورهبة، آخر يتأمله بمهابة ويتفحصه من كل موضع، بدقّة متناهية، لايترك فيه صغيرة ولا كبيرة، كمن يدرس هيكل كائن خرافي منقرض. أو على وشك أن ينقرض، وقبلما ينقرض، فتفوته إذذاك فرصة الإحتفاظ بصور تفصيلية، شاملة عن كل مافيه، فيقترب منه حتى يتلاشى فيما بينهما الهواء. ثم يبتعد عنه بضع خطوات سريعة، ليدقق فيه النظر عن بعد. ويشرع بعدها بحديث متواصل، مع هذا أو ذاك، مشيراً إليه، بين آونة وأخرى إشارات خرساء، ثم يعترض على أنفه، ويعتبره كبير الحجم، فيسرع إليه، ويشرع يفركه له، بعض الوقت، ولا يلبث أن يعاود سيرته في الإبتعاد والإقتراب منه مرة أخرى. ومرات أخر. في حركة لولبية، دائراً حوله بعناية فائقة وتمهل شديد وإذ يصل الى قناعة ورضا، ينبري شخص آخر، معترضاً هذه المرة على شفتيه "لايعجب الأفندي منظرهما... إنهما غليظتان، بعض الشيء" خامس يتكلم ببطء مملّ محاولاً أن يضيفي أهمية إستثنائية على كلامه. لاشك أن دافعه الى إصطناعها هو إحساسه بإفتقاره إليها، في حد ذاته:

- أأأ. أنا أرى... إنه قد ظهر أكثر... شباباً... من...

يرد عليه ذاك الذي فرك لي أنفي قبل هنيهة، بإقتضاب وحسم:
– آنذاك كان كذلك.

وحين أضاف شخص ما من مكان ما، بقدر غير قليل من التفلسف:
– ألا... ترى ياأستاذ... أن صلعته... وا... واسعة...

أهمل ذاك الذي دعاه "الأستاذ" ملاحظته، وحسناً فعل الأستاذ... فأنا لست أصلع أصلاً، ناهيك عن كون صلعتي واسعة أو ضيقة. ولعلّ البياض الناصع الذي يصبغ شعري الكثّ، والذي تجعله أشعة الشمس الساقطة فوق رأسي، يلتمع، قد خدع نظره...

وتحدث آخر... وآخر، كأنهم في مباراة... وإشتبكوا مع بعضهم البعض في جدالٍ ونقاش، وحوار متبادل بعض الأحيان. وغير متبادل. من جانب واحد حسب، أكثر الأحيان، بأصوات عالية، صاخبة... حولي. معي، ضدي. ولكن بإهمال كلي لشخصي، ومن غير أن يكلّف أى واحد منهم نفسه بتوجيه أيّ من أحاديثه الدائرة عنّي... اليَّ لكأنني غير موجود بينهم تماماً، مع أنه أنا المعنيّ بكل أحاديثهم وأقوالهم... وجلُّ شجارهم إنما، يجري بسببي. ولكن لم كل هذا؟ وما الذي يجري بالضبط؟ ما سرّ كل هذا الإهتمام بي؟ وبملامحي وتقاسيمي وتقاطيعي؟ ثم... ثم... من هؤلاء الدائبون على تزييني وتجميلي... كأنني عريس يزفونه الى عروسه التي تنتظره. إني ياأولا دي أخطو نحو الثمانين والثمانون يا هؤلاء ليست فرحة. ضحك في سره إذ برق في ذهنه بيت شعر، قاله الشيخ رضا الطالباني وهو شاعر معروف بجرأته وإباحيته:

عومرم گەیشتا هەشتا (...) بەکارە هێشتا
بلغت الثمانين من عمري وما زال فعالاً (...)

ربما كان الحال كذلك في أيامك، ياشيخ رضا... هه هه هه، أما الآن... أضاف بنبرة حزينة – فالواحد منا يعطب وهو دون الخمسين، مابال هؤلاء الأخوة لايكفّون عني، ولا يتركونني لحالي؟... "دع أذني يا أستاذ... أو... أو... لاتفركها بهذه القسوة. ليكن حجم إحداها أكبر من حجم الأخرى ما شأنك أنت؟ هكذا خلقني ربي، هل تملك أنت لخلقه تغييراً، أستغفرالله؟ إهتّم أن كان ولا بدّ بعينيّ، فأني لا أكاد أتبين وجه أحد منكم ولا يسعني التعرف على أي منكم.

وعصفت به الدهشة إذ لقي نداؤه الصامت، صدى وإستجابه في نفس أحدهم كأنّ بينهما جسراً غير مرئي من التلاقي والتخاطب الروحي.
– أستاذ عيناه غائرتان.

تأمل الأستاذ ملاحظته:
– بسبب الجفنين. إنهما مطبقان أكثر مما ينبغي...

"إذن إفتحهما لعليّ أراكم... هيا هيا... ماذا تنتظر؟". وبمهارة وحذق ورقّة بالغة، راح يعالج جفنية... فهتف علي مردان من أعماقه "رحم الله... امك وأباك، يا أستاذ"

زالت الغشاوة عن عينيه وبات بوسعه أن يصبر كل من يقف في مدى نظره أو يمرّ من أمامه، ولكنه، بالرغم من ذلك، لم يتعرف على أيّ من الناس المحيطين به...

"شباب. شباب. إن نصف قرن من الزمن يجثم بيني وبينهم فأنىّ لي أن أعرفهم..."
– الآن... صار على مايرام. اليس كذلك؟

تساءل الأستاذ دون أن يوجه سؤاله الى أحد، ومن غير أن ينتظر جواباً ما...

عاد يتفحصه من جديد، عن قرب وعن بعد... ثم ألقى نظرة على ساعته اليدوية وأضاف بقلق:
– لقد تأخر فريق التلفزيون... سأذهب إليهم بنفسي...

وغادر بسرعة.

إنصرف الآخرون، الى الكراسي المكوّمة على بعضها، في الحديقة، وأخذوا يرتبونها وينسقونها... بينما راح آخرون، يهيئون منصّة كأنها للخطابة، أو لشيء آخر من هذا القبيل، ثم يجهّزون المايكروفونات ويخبرونها... بضربات من الإصبع، والنفخ فيها... وآلو... آلو... أينوون إقامة حفل؟؟ تساءل علي مردان بينه وبين نفسه... حفلٌ ساهر. غناء وطرب. ومقامات... وموسيقي؟ أم... أم... لغرض آخر... لا أدري ماهو! آخ... لو... لو... يخبرني أحدهم... حسب. ولكن... أين هو هذا الواحد، المتفرغ للإجابة؟ الكلّ في خضّم العمل. الكل في

إعصار الحركة وبأقصى درجات المهمّة والنشاط... "آه... بعد كل ذلك الإهتمام الشديد والإحتفاء الغريب والعناية الفائقة بي... ها قد غدوت شخصاً مهملاً، وحيداً، مهجوراً، لاأحد يخاطبني لاأحد يتوقف عندي... لاأحد يستجيب لنداءاتي" إنتابه شعور بالإستياء والإمتعاض، فقرر هو الآخر، إهمالهم... إختفت أرضية حديقة چوارچرا "القناديل الأربعة" المعشوشبة... الخضراء،... الطرية، الندية، التي تتراءى خلالها قطرات الماء، إذ تعكس أشعة الشمس، نقاط زئبقٍ متلألئة، متراكضة لاتستقر على حال. فقد غطتها، أو كادت، الكراسي البلاستيكية الكثيرة، المبثوثة فوقه، بألوانها الزاهية، المتعددة.

من بين أغصان الأشجار الباسقة، التي تحيط بـ"چوارچرا" أبصر البدر يرنو اليّ، في خفر وحياء، يظهر تارة ويختفي أخرى، كلما حركت النسائم أغصان الأشجار وأوراقها الكثّة. موشحاً بغلالة رقيقة من سحائب شفافة بيض... فتكثف إحساسه بالوحد، إذ بدأ له، أنه، هو الآخر، حاله حال هذا الوجه المدور، السابح وحده في ذلك الفضاء اللامتناهي، وحيد مثله... وحيد بين هذا الزخم من الناس... فآنس إليه... وإنشدّ بأكثر من وشيجة. وكل وحيد، للوحيد أنيس وصديق وأليف... فراح يناجيه... مغنياً بنبراته الشفيفة... الحزينة... الحنون:

ئەی مانگ من و تۆ هەردوو هاوده‌ردین
هەردوو گرفتار یەک ئاهی سەردین

"أيها القمر كلانا، بالداء نفسه، مبتلى. وممزق الأحشاء بالحسرة نفسها"

داخله إحساس ينخره الخجل، بالأعجاب بنبرات صوته. لم يلبث أن رقّق نفسه وبات إحساساً صافياً، سليماً. يوشحّه قدر غير قليل من الفخر والزهو فما زالت نبراته نقية، وإذا كانت تشوبها بعض الخشونة، فإنها ليست الى الحد المنفّر، أو المؤذي للذوق. إلا إنه وبالرغم من إمتلائه بالإنسجام مع جمال صوته، توقف عن الغناء فجأة، إذ لم يعد في وسعه السير في خداع نفسه أكثر مما سار، وبات لزاماً عليه أن يقرّ بأن ماتخيّله، أو بالأحرى طاب له أن يتخيّله قمراً، بدراً، لكي يردّ مقامه الصعب "ئەی مانگ" ويمتحن خلاله، قدراته الأدائية بنفسه. ليس بدراً، ولا قمراً، إنما هو قرص الشمس، الملتهب المجمرّ، الآيل الى الغروب. وإن الوقت مازال مبكراً على بزوغ القمر... ولكن

قد فاض به الحنين الى الغناء، لمقاومة إحساسه الذي يغزوه من الداخل والخارج، بالوحدة، والإستماع الى صوته، الذي طال فراقه له. وكثرت أجنّة شكوكه فيه... "في الغناء – قال لنفسه – تسمو الروح، ويتلاشى الإحساس بالوحدة والعزلة، وهي تعانق بحميمية روح الكون. بكل ما يزخر به من بشر ونبات وحيوان وجماد..."

شرع المدعوون، وغير المدعوين من عشاق علي مردان، أيضاً، نساء ورجالاً، شباباً وشيباً، يتواقدون، وحديقة "چوارچرا" تستقبلهم بورودها، الجميلة الزاهية، الفوّاحة... بعطرها، وهي تنافس وجوه المستقبلين، الطافحة بالبشر، الناطقة بآيات الترحيب... وعلي مردان بشخصه المهيب وبتأريخه الفني الثرّ العريق. يرنو إليهم بحبّ يعجز لسانه عن التعبير عنه، فتطفر روحه من جسده، وتعانقهم، وتقبلهم، واحداً واحداً وواحدة واحدة، وفي عروقه النابضة بحبهّم، تسري نشوة عارمة، وفي داخله يهدر سيل من الجذل والبهجة... كل ذلك تحت سجف غير مرئية من الصرامة، ومن غير أن يرمش له جفن، أو يفترّ ثغرة عن إبتسامه، أو حتى يهتز في ملامحه عرق وهو الشاعر الرقيق. والفنان المذاب، في قالب من الأحاسيس الإنسانية والعواطف الجيّاشة، وفي أعماقه تتلاطم موجات من مشاعر الإمتنان والإجلال لكل هؤلاء الذين لبّوا الدعوة. إعتزازاً به وإقراراً بمكانته الفريدة، في دنيا الغناء والمقام بشكل خاص. دون أن تجد لها فتحة للإندلاق والإنهمار، ول حتى ثقباً صغيرا للتنفس. فراح جراء ذلك يهتز في علّوه ويختضّ في مكانه، غير قادر، إلا بشق الأنفس على تحقيق قدر من التوازن والثبات والإستقرار... تمور في روحه الملتهبة رغبة ناريّة أن يثب من مكانه، ويحتضن كل واحد منهم، في هذه الأمسية الخالدة، التي لم يعرف لها توأماً. ولكن آخ وألف آخ، فذلك هو المستحيل بعينه.

كظم غيظه، وكتم عواطفه. وطفق يخفف من وطأة أحزانه على روحه. يتأمل هذه الوجوه الكريمة، النبيلة، التي تترى. حاول التعرف عليهم. فراح يعصر ذهنه، يستحضر أيامه المواضي، وينفح الحياة في لياليه الخوالد. ولكن ذاكرته المرهقة أبت أن تسعفه، بينما تحججّ هو بأمر آخر، "الشمس تخترق عيني. ولا تدعني أراهم بوضوح" وإذ حالت الشمس وحجزت أغصان الأشجار أشعتها

عن عينيه، فترة غير قصيرة، لم تنفعه شيئاً.

"بسبب الزمن، قال لنفسه معزيّاً نفسه، خطى الزمن السريعة التي ماتني تسرع... كأنها في سباق خرافي مع كائنات هلامية لايدركها شعاع الضوء. قاطعةً الشهور والسنين في بحر ساعات وأيام حسب، خالقة بين الأحبة مسافات. صانعة في البشر والأشياء تغييرات وتغييرات، لاحصرّ لها ولا عدّ. حتى لايعود الأب يتعرّف على إبنه بسهولة، ولا الأخ يهتدي الى أخيه بيسر، بسبب مايتركه الزمن القاسي من ألوان وآثار غريبة على الوجوه والأشكال، والقوام والهامات، وحتى الروح، آخ، حتى الروح نفسها لاتنجو من براثن الزمن ومخالبه الحادة، وأنيابه الغادرة."

وهو هو نفسه قد جثم الزمن، بكل ثقله وضراوته، فوق هيكله المتداعي المنخور، وراح، بلارحمة وبالقسوة كلها يعضّه، ويضرسه أيضاً... فاسقطه، مريضاً، هزيلاً، حبيس جدران منزله تارة، وسجين جدران... مستشفيات بغداد... تارات أخر... فإنقطع مُكرهاً عن الناس، ناسه وأحبابه مثلما إنقطعوا عنه، إلا قلّة أبى عليهم وفاؤهم وحبهّم له إلا أن يتواصلوا معه ويظلوا يترددون عليه. فكانوا البلسم الشافي والطبيب المداوي... حتى فات الأوان، أوان كل شيء، ولم يعد الدواء ناجعاً، ولا الطبيب نافعاً، ازاء حكم القدر، غير القابل للرد أو النقض. ولا حتى للإستئناف والتأجيل... "ولكنهّم، مع ذلك، ظلوا سلوى لروحي الحزينة المتوجعة، وهي في أيامها الأخيرة وكانوا نعم الأنيس لها في وحدتها الطويلة... وعزلتها القاسية" آخ... آخ... حتى صوته، رأسماله الوحيد، وأعزّ مايملك من حطام الدنيا والآخرة، ذلك الصوت الساحر الرخيم، الذي كانت لقوته تهتز الجبال... ولإيقاعه السامي الأخّاذ، ترقص الطبيعة وتبتهج... والذي كان خطابه الأبلغ... ورسوله الأوفى الى قلوب الملايين من الناس والى عقولهم أيضاً... لم ينج من سطوة الزمن وجبروته، إذ نخر فيه دوده، فأضعفه وقلّص من مساحة إنطلاقه الشاسعة، وحدد من آفاق فضائه اللامحدودة. وزرع فيه خشونة وخرخشة ولودين، تتناسلان وتستفحلان على مرّ الأيام.

"ولكن وبإعتراف العديد من الأصدقاء والأعداء، مازال عاجزاً، عن تشويه

صوتي، وإخراجه من حقل الأصوات السليمة موسيقياً والمرغوبة جماهيرياً". ولكي يعززّ الرأي، ويجددّ ثقته بنفسه وصوته، قررّ أن يؤدي مقام "قەتار الله ويسي" الذي يتطلب أداؤه جهداً متميزاً، تبذله الأوتارالصوتية، ونفساً طويلاً، لاتملكه الا حنجرة متمرسة، متمرنة... على هذا النوع من الأداء، إضافة الى قوة. ونبرة أوپرالية، وحسّ موسيقي دقيق وعالٍ...

سعل بضع سعلات خرساء، كما إعتاد أن يفعل أيام زمان. ورفع صوته "ئازيزم... ئاي... ئا...ي... ئا..." وإختنق صوته، خنقهُ الحزن الذي تفجر من أعماقه "لا. لا... ليس هذا صوتي" وأضاف بنبرة خرساء تقطعها دموع غير مرئية "لم يعد صوتي الذي كان" وراح يغوص في ذاكرته التي هدّها الزمن، ويتذكر، بالرغم من ذلك. ولكن بحزن... صوته القوي الرنان الذي طالما أطرب الناس وأسعدهم... وسعى عبره الى تربية أذواقهم وصقلها، فالغناء الأصيل، الذي إشتغل عليه وتعاطاه وأدّاه بتفوق ليس للتطريب حسب. إنما هو فعالية إنسانية ونشاط خلاق في التعليم و... والتثقيف، وتربية الذائقة الفنية في الوقت نفسه، مثلما هو غسل للروح من أدران العادي واليومي والبلادة. وأجنحة سحرية. تحلق بها نحو العلا والسمو. ونار قدسية تخترق في أتونها النفس البشرية، لكي تتطهر من الأنانية والجشع وتختلق من جديد، نفساً إنسانية، صافية شفافة. صفاء البلور وشفافيته. "هكذا كان غناء سيد على أصغر وكاويز أغا" وكذلك أيضاً كان غناء علي مردان نفسه، الذي ظل لأكثر من نصف قرن يحيا في فضاء هذه العلاقة السامية. يثريها ويثري بها، يسقيها نزيف روحه وعقله ويرتوي بها. يغذيّها ويتغذى بها فتنمو وتثمر، كما ينمو هو بها ويثمر. والأيام تزيدها ثراء وعطاءً.

عشقته كُردستان، ورددت صوته، بكل إتساعها وأطرافها المترامية، بوهادها وجبالها، مثلما عشقه العراق كله، من أقصا الى أقصاه، حتى أولئك الذين لايفهمون مفردات غنائه، "ومتى كان الغناء الأصيل بحاجة الى أقدام من كلمات وحروف لكي يدخل القلب ويسكن الروح؟" قال لنفسه.

وكان يرتشف هذا الحب، بل يشربه ويعبّه بكل مسامات جلده. ونوافذ روحه المشرعة لحب الناس. ففي كركوك الحبيبة، حيث تبرعم، غناؤه، وأينع وأزهر،

وسقاه شعبها الودود رحيق العشق والوفاء، فردّ لهم، كما تردّ النحلة رحيق الزهور شهداً، لاتُنسى طلاوته، مُذاباً في ألحان عذاب، تنبع من حنجرة ذهبية. وبعدها في بغداد الكبيرة الوفية، حيث إستقام عودة وتجذّر في أعماق الأرض والقلب... وأثمر... وأتى أكله طيب المذاق، نادرهُ.

كان مريدوه الذين يترددون عليه إذذاك. تشكيلة بديعة، من المتنّورين الكرد، أكثرهم طلاب كليات، أساتذة، أطباء، مثقفون. أدباء، شعراء، وغالباً ماكانوا يجيئون بصحبة صحفي أو بالأحرى يقودهم إليه، صحفي، نشط ذكي، ذو مواهب متعددة أبرزها قدرته الخارقة على إحتساء الخمور، بكل أنواعها والوانها... وفي أيّ وقت، وكل وقت، ضحك علي مردان، إذ تذكر الحال التي كان يراه فيها، لقد كان على الدوام مبلولاً بالعرق، حتى لكأنه يسيل من مسامات جلده. تختلط روائحه النفاذه، بروائح تبوغ سجائره، المتعددة هي الأخرى، كل أنواع السجائر المتوفرة، أو التي يقدر هو أو أصدقاؤه، على توفيرها، بغداد... أريد و... سومر... روثمان إلخ... إلخ... "ماذا كان يدعي ياترى؟ ما إسمه"...

توغل علي مردان في طيات ذاكرته التي عقجتها السنون العجاف، ولكن لم يعد بنتيجة، فلامَ نفسه وقرّعها، "لا... لا... ياعلي، انه ليس من النوع الذي يمكن أن يسقط من الذاكرة ويطويه النسيان، كيف يُنسى ذلك الدفق الإنساني المتوهج؟ أ يركن الى ليل النسيان وظلامه؟ أصدقاوه كانوا ينادونه باخوس. وبعضهم، يبالغ في تقديره أو يتندر، فيسميه الإله باخوس... أما هو فقد كان يحمل إسماً كُردياً...

"آه لعنة الله على الشيطان" ماذا كان ياترى؟ جوتيار؟ بەختيار؟ غەمبار؟" تذكرت... بريندار... لا... لا زامدار... أجل... أجل. زامدار"... وأطلق ضحكة أخرى من ضحكاته الخرساء... تالله... لم أسمع بإسم يتناقض مع صاحبه كإسمه، فقد كان دائم البشاشة والمرح. حاضر النكتة والفكاهة... خالق ألوان من المقالب والمكائد البريئة والخبيثة، يسقط في حبائلها أصدقاءه بروح طيبة، ولكن ماكرة، يردد بين الحين والحين "فشەيه" لكل أمر لايعجبه... هراء... إنه هراء... لماذا أسمى نفسه زامدار... المجروح إن إسم باخوس أليقُ به، وأكثر

تعبيراً عنه... ولكن، إستدرك علي مردان بحزن...

"من يعلم بجروح القلب التي لاترى أو بتمزقات الروح التي يعاني منها سوى صاحبها... آه... لكم كان ذلك الشاب البدين يعشقني" ترى ماذا حلّ به؟ أين صفا به الدهر؟ أما زال في بغداد مغترباً... أم عاد الى عشّه في أربيل؟

"آه... تعساً لي، أنّب على مردان نفسه، يبدو أني من شدة إنشغالي بنفسي نسيت نفسي عن أصدقائي وضيوفي" أطلق نظراته، ماوسعه، في أرجاء چوارچرا... كانت الكراسي المبثوته فوق بساطها الأخضر، المؤطر بالزهور الملونة، قد إمتلأت بالناس إلاّ بعضاً منها. وهم مازالوا يتقاطرون زرافات ووحدانا... ومازال هو، حتى الآن عاجزاً على التعرف على أي منهم "آخ من الزمن وأهواله" المهم إنهم أصدقاء صوتي وعشاقه، وهم يعرفونني. وقد نزلوا عندي ضيوفاً أعزاء، فعلى الرأس والعين".

مرق أمام ناظره، كهلٌ في نشاط زئبقي، لايتناسب مع عمره، الذي يعلن عنه التاج الأبيض من الشعر الذي يحمله فوق رأسه... خفق له قلبه بسرعة "قلبي بين ضلوعي يشدّني إليه، يهفو نحوه، كما يهفو قلب الأم نحو وليدها الذي عشرت عليه بعد طول ضياع وغياب" إستأثر بإهتمامه من بين كل الشباب والفتيان الغادين... الرائحين، وهم ينظمون مستلزمات الحفل، أو يستقبلون القادمين برقّة، ولم يُطِل فيه النظر بضع ثوان، كان واقفاً في مدى نظراته، حتى شرع قلبه يضطرب، فصرخ بقوة ولكن بلا صوت "ئەبێ خوای گەورە" يا إلهي... إنه ولدي عەول قادر... "آه لكم تغيرت يا وليدي وتبدلت" كان قد فارقه شاباً يافعاً لم ينبت شارباه، وها هو يلتقى به وقد وضع الزمن فوق رأسه إكليلا من ثلوج سەفين" المندوفة... آه... لو يقترب مني، أجرّه اليّ، أجلسه في أحضاني... وأقبله، مثلما كنت أفعل قبل أربعين عاماً...

"قالا"

صرخ بصمت وأضاف، آمراً، وملتمساً "تعال يا ولدي... تعال الى أبيك".

من أكمل نعم الرب علي العبد أن يرزقه ولداً صالحاً، فيه يحيا و به وبأمثاله لاينقطع ذكر الرجل ولا يندثر أثره. "قم بواجبك يا ولدي. رحّب بضيوفنا، كما ينبغي... و... ومن هذا القادم لتوه، الذي هرع إليه عبدالقادر

يعانقه بكل هذه الحرارة، تنح ياقالا... قليلاً... لاتحجبه عن ناظري. دعني أره... أن هاجساً في داخلي ينبئني بأني أعرفه "ئاي خواي گەورە إنه... باكوري الحبيب، الجميل، الوسيم". تذكره على الفور، فقد تعهده برعايته شاباً يانعاً، وتلميذاً نابهاً موهوباً... ثم فناناً قديراً متواضعاً... آه. لكم تغير هو الآخر، الزمن... آخ من الزمن، إنه يبني ويهدم. يعمّر ويخرّب، يجلّل الهامة بالبياض، يجوّف الهيكل، يقوّس القامة. وأسرع يخاطبه... لاتأسَ يا باكوري... فإن الزمن، والحمدلله، مازال عاجزاً عن إمتصاص نضارة وجهك. أو إطفاء إشعاع عينيك الحلوتين، الذي يخترق زجاج نظارتك السميك...

وإذ بدأ له إنه يعاني صعوبة في السير، يتكيء على هذا تارة وعلى ذاك أخرى... وعلى نفسه ثالثة، حزّ في نفسه كثيراً وتألم لما آل إليه حال ذلك الفتى الرياضي الذي كان يسابق الغزلان "تعال... ياباكوري... العزيز... تعال أعانقك... أواسيك لما فعل بك الزمن الغدار..."أواسيك؟؟ وأطلق ضحكة أخرى من ضحكاته التي لايسمعها أحد، ولا تنفتح إذ يطلقها حتى شفتاه المطبقتان. وقال بأسى "من يواسي من؟ ياترى ماذا فعل بي الزمن الشرس المنكود أنا الآخر وهو يجول فوق جسدي المنهوك، منذ أكثر من نصف قرن، هارساً عظامي تحت حوافره التي لاترحم... آه... ليت ثمة. مرآة. لأتطلع خلالها الى وجهي الذي لابدّ أن يكون الزمن قد رسم فوق صفحته جداول وأنهاراً، ودياناً وتضاريس." وإنتفض. "لماذا المرآة هذه الزجاجة الباردة الجامدة، الخالية من الحياة. أما تكفي كل هذه الوجوه، الحيّة، الصادقة، التي تتكلم بأبلغ لسان، عن أصحابها وعنى أيضاً، وجوه أبنائي و أقراني التي تغضّنت، وتيبّس لحمها وبانت عظامها. وغدت تعكس صورتي أيضاً... أوضح مايكون الإنعكاس؟" وراح يواسي نفسه... من خلال باكوري، لاجدوى ياباكوري لاجدوى، الزمن قوة عاتية، لايملك الإنسان ازاءها الا الرضوخ والإستسلام لمقدارته... وإنتفض علي مردان. شِخْ ياباكوري كما تشاء ويشاء لك الزمن. ودعه يفعل بك مايريد، يصبغ شعرك بالبياض! يقتلعه من الجذور يحصده. يحصده، ويترك جلد رأسك عارياً، أملس. مصقولاً، ترتد عنه أشعة الشمس إذ تسقط فوقه، أكثر إشعاعاً أو ينيخ بثقله الخرافي وثقل همومه التي لاتعدّ ولا تحصى، فوق هامتك، فيحنيها ويقوّسها ويداعب بمخالبه المتوحشة صفحة وجهك، المشرقة

الملساء، ويخلّف فوقها آثاره المريعة... و... و... و... لايهم، كل ذلك لايهم البتة. المهم صوتك... أخبرني كيف حال صوتك؟ كيف نبراتك، أما زال جمال الأداء يشع منها. أما زال بوسعك قراءة المقامات العالية، كما تقتضي أصول ادائها السليم من التحرير الى التسليم. وإتقان الجواب والقرار، والميانات والبستة التي كانت تخرج من حنجرتك بطعم العسل... و... وثمة سؤال. تخجلني شيخوختي من الجهر به أمام الناس، إقترب منّي... إقترب ودعني أهمس به في أذنك... هاهاها كيف حالك مع النساء؟ أما زلت...

آه...

وقطع عليه إسترساله في الحوار الذي يجريه مع باكوري، أُحادياً ومن جانب واحد حسب. دخول رجل شامخ، أخرجه من نفسه، وسرق كل إهتمامه. "يقيناً أعرفه. أسعفيني أيتها الذاكرة المنخورة!"...

لم يطل به البحث في ثنايا ذاكرته. هتف سريعاً "سالار" إنه سالار الفنان المسرحي الشامل. الرجل الأنوف الذي لاتخطيء أنفه عين من مسافة مئات الأمتار... أو... أو "سيرانو" كما كان الظرفاء يدعونه، وقد صدق. فالرجل في شاعرية "سيرانو" وشفافيته وعلّو روحه. وقد إستطاع خلال فترة وجيزة أن يفرض إحترام الفن، حدّ التقديس في زمن وفي واقع كان الكثيرون يزدرون الفن، وينظرون الى الفنان نظرة إستصغار.

مازلت أذكر تلك الواقعة التي جرت له في السبعينات، حيث كانت الفوضى تضرب بأطنابها في مدينته السليمانية. والأمن مفقوداً. وكان هو عائداً الى منزله، ذات ليلة، فتصدى له ثلّة من اللصوص ليسلبوه. ولكن ماكادوا يقتربون منه حتى تعرف عليه أحدهم. فصرخ "كورينه... ماموستا سالارا" فأُسقط في أيديهم، وشلّهم الخجل، فأحاطوا به، بإعتزار بالغ، سوراً. يحرسونه ويحمونه، حتى أوصلوه الى منزله، وألسنتهم لاتكف عن الإعتذار والإستغفار...

تلك قوة سلطة الفن وعظمته، التي ينفرد بها الفنان الأصيل، تفرض إحترامها وطاعتها، طوعاً، حتى على الفئات المنحرفة، وتربيّهم وتعلّمهم.

إن سالار، والحمدلله، أضاف وهو مايزال يرنو إليه، لم يفرض إحترامه على

اللصوص حسب بل على الزمن أيضاً، الذي لايجرؤ حتى الآن أن يلعب به كما لعب بنا جميعاً. وعاد بذهنه القهقري الى أيام كان سالار يتردد عليه في بغداد، يجالسه ويستمع الى غنائه، بولَهٍ وإنتشاء، وما أكثر ما أنشدَّ أيضاً الى نبرات صوته الرجولي العريض. ترى ماذا لو غنّى أو قرأ المقام بصوته الأوبرالي الضخم، أما كان حقق لنفسه فيهما شأناً لايقل عن شأنه في المسرح،... آخ... ما هذه الرائحة الغريبة الشاذة التي هبت علينا؟

طفت الرائحة الكريهة التي هبّت، على شذا ورود چوارچرا... بل وعلى عطور النساء أيضاً... وغزته عبر فتحتي أنفه المفتوحتين الى آخرهما، بقوة... حاول أن يدير وجهه عن مهبها ولكنه أخفق ولم يستطع لرأسه حراكاً، وهمّ أن يتجنبها ويحمي نفسه منها. بسدّ فتحتي أنفه، بيده، غير إنه عجز، إذ إكتشف إنه بلايدين بلاكفين، بلا أنامل، فاستسلم يائساً من كل قدرة على مقاومتها، يتوجب عليّ أن أتحملها، إنه قدري... وأمري الى الله الواحد القهار.

ولم تلبث الرائحة، إذ ملأت أنفاسه وراح يعبّها على الرغم منه، أن سقطت على أرث كبير لها، وبعثت الحياة في تاريخ قديم، ورصيد دفين. مخزون منذ عدة عقود، إنها رائحة الخمور المتنوعة المذابة في روائح التبوغ المختلفة المتعددة، التي لايحتويها ولا يقذفها سوى شخص واحد "الإله باخوس"، زامدار، وحده الذي لاشريك له في مجاله وتخصصه!! تنحوا ياأولا د، تنحوا ياهؤلاء، دعوني أكحل عينى بمرآهُ فقد طال فراقي عنه وزاد شوقي اليه، وإني وبالرغم من روائحه كلها، في شوق للقائه والإستماع إليه، والى طرائفه ونكاته، ورؤية روحه الفكهة، الشفافة التي تنعكس في كل مايفعل ويقول... لكن... لكن... ماهذا؟ لقد نحت الزمن جسمه بقسوة... وإقتطع من جسمه لحوماً كثيرة، بلا رحمة، وخلّفه نحيفاً، هزيلاً، حتى سترته ترهلت على جسمه. وبدا كأنه يرتدي سترة أبيه على حد قوله، مازحاً، كلما رأى أحد أصدقائه يرتدي سترة أوسع من حجمه منتقاة من "تحت التكية". ناداه بصوته الأخرس. تعال، ياولدي، تعال أيها المجروح، في القلب والجسد والروح. تقدم... تقدم. لأجلك وفي سبيلك أتحمل رائحة خمورك وتبوغك، وروائحك الأخرى أيضاً. فأنت،

وبالرغم من كل شيء... محبوب، كما الشتيمة الفنية الذكية النادرة، وسرعان ما يأنس إليك المرء، كما يأنس الى العاهة التي لاتشوهه ولا توجعه، وأحسب أن الكل يتقبّلك، كما يتقبل الجسد روحه المثقلة بالآثام والرزايا التي يتمنى الجميع إقترافها... ويقترفها فعلاً، ويقترف الأبشع والأنكر والأدهى منها ولكن في السرّ والخفاء، وتحت أستار مهلهلة من الأخلاق والتقاليد، متحصنين صدقاً، أو كذباً ورياءً، في الأغلب. بإدعاءات النزاهة أو الخجل، في هذا الزمن الداعر الموبوء، الذي بات لايستحي ولا يخجل من أحد ولا حتى من نفسه!

لا أحد سواك، وسوى قلة من نموذجك النادر، جرأوا أو يجرؤن على الجهر بها، أو الإقتراب، أو حتى الإعلان عن الاقتراب من حدودها.

عاد "الأستاذ" المولع بفرك وجهه، مصحوباً بمجموعة شباب، يحملون كاميرات وپروجكتورات وأجهزة وآلات أخرى، وإنتشروا في أرجاء الحديقة، بينما وقف هو يلقي نظرة فاحصة على الحاضرين. ثم وكأنه تذكر أمراً في غاية الأهمية، أسرع نحوه مهرولاً، وقف قبالته. وقد بدا في حالة شديدة من الإنفعال "سيلعب بوجهي ثانية" قال علي مردان، متوجساً خيفة حقيقية منه "ترى ماذا سيفرك لي هذه المرة؟" صاح الأستاذ بمن حوله بحدة:

- ماهذا؟ الم تغطوه حتى الآن؟

"يغطونني؟ هل أنا عارٍ، إتق الله ياأستاذ" إقترب منه بعض القائمين على أمر الإحتفال بقلق، إنبرى من بينهم فاضل متسائلاً:

- نغطيه؟

- طبعاً تغطونه، صاح الأستاذ، كيف يزاح عنه الستار إذا ظل بلاستار؟

- صدقت... لقد فاتنا ذلك، أعذرنا ياأستاذ...

قال عرفان ذلك، وأسرع الى داخل الفندق. بينما ظل الأستاذ يضرب كفاً بكف "ولكن هل أنا عارٍ حقاً؟" همّ أن يلقي نظرة على نفسه، ولكنه لم يستطيع إذ ظلت عيناه محدقتين الى الأمام لاتتحركان ولا ترمشان. وإذ عاد عرفان بقطعة قماش... سارعوا اليه، وأخذوا يلفونها حوله، بينما وقف عبدالقادر على مبعدة، يرنو اليهم، وكان قميناً أن يدفعهم بعيداً عن أبيه لولا

يقينه أن ذلك جزء من مراسيم الإحتفال والطقوس الجارية، في هذه المناسبات، ثم أن الأمر كله لايستغرق سوى دقائق. ويعود الوالد الحبيب، يطل على عشاقه ومحبيه. ولكن علي مردان نفسه لم يكن يعرف هذه الحقيقة، فضاقت روحه بهذا الظلام الذي هبط على عينيه ومنعهما من معاينة أحبائه... "آه... لا... تسدوا عيني، لاتخنقوني... لاتقمّطوني... دعوني أتنفس. دعوني أتطلع الى أحبائي" وظل يصرخ... يستنجد ويستغيث. وما من منجد ولا مغيث، فإحتد أكثر وأخذ يمور بغضب داخلي مكبوت. يشتد ويتعاظم، يلقم ناره اللامرئية المتأججة في داخله، لامبالاتهم به وإهمالهم له، مزيداً من الحطب اليابس. فشرع يتململ ويهتز، و... ومالبث أن بدأ يختضّ ويوشك أن يتصدع حتى أن الأستاذ الذي كان يلّف حوله القماش بتأنٍ وتفنن... إرتد مصعوقاً. مأخوذاً. محبوس الأنفاس، فاغر الفم. يشير اليه إشارات خرساء، دون أن يقوى على إخراج كلمة صائتة من بين شفتيه اللتين ترتجفان على نحو غريب. مما أوقع كل من حوله في دهشة بالغة وإستغراب شديد... وحيرة هآئلة. سأل عرفان مرعوباً:

- ما... ما... بك... يا أستاذ ؟

لم يقو الأستاذ على الإجابة، وإذ تكلم بعد جهد جهيد... خرجت كلماته مهشمة، منقطعة الأوصال، لاتتماسك حروفها ولا تتصل ببعضها البعض.

- إإإ... إنه... يتـ..يتـ... يتحرك... وسقط القماش من يده. ولم يجرؤ أن ينحني ليلتقطه.

- مَن؟ مَن تقصد يا أستاذ ؟

أجاب الأستاذ مستعينا بالإشارات:

- هـ... هـ... هو... ما... ما ماموستا.

سدّ فاضل فاه برفق، غير مصدق مايسمع ويرى من إشارات.

- أسكت يا أستاذ... أرجوك... أسكت وإلا فزع الجميع... وفرّوا.

إلتقط عرفان القماش من الأرض. وربّت على ظهره، مشجعاً وقال وهو يناوله إياه ويعاونه حريصاً ألاّ يدع أحد من الحاضرين يدري بما يجري:

- هيا... هيا... يا عزيزي. الكل يرنو إليك... الكل في إنتظارك.

ولكن الأستاذ أبى أن يستلم القماش وقال وهو يتراجع ويرتجف:

- لا... لا... لن أقترب منه...

إنطلقت من بين الحاضرين، في الصف الأمامي، قهقهة عالية، مصحوبة بروائح خمور وتبوغ من أنواع شتى، يتخللها صوت مستهزيء:

- فشهيه!!

عرف الأستاذ أن زامدار يتعمّد الإساءة اليه، لاسيما وأن علاقتهما قد تردّت هذه الأيام. ولم تعد على ماكانت من الوئام. فردّ بغضب شديد:

- فشتية؟ ها...؟ فشتية؟ هاك... غطّه أنت يابطل!!

خطف القماش من عرفان وألقاه على وجهه بعصبية وإنفعال. فسقطت السيجارة التي كانت تترنح بين شفتي زامدار، بينما غادر الأستاذ الحفل... وهو يفور، غير حافل بالكرسي الذي عثر به ولا بالوجع الذي أصاب ساقه... إلتقط زامدار سيجارته، من الأرض، وأعادها بسرعة الى شفتيه اللتين لم تعتادا على الفراغ إلاّ ساعات النوم القليلة والنادرة جداً.

وهو يقول ببرود تام: مغرور، يحسب أن بوسعه بعث الحياة في الحجر.

ونصح الذين هرعوا خلف الأستاذ للإعتذار منه وثنيه عم عزمه:

- دعوه، لو فعلتم المستحيل لما عاد.

وأضاف بإعجاب لم يستطيع كبته:

- إنها ثورة فنان... وأضاف بصوت عالٍ حريصاً أن يسمعه الجميع، ويعرفوا رأيه الحقيقي فيه، بالرغم من كل ماحدث:

- وهو فنان... فنان أصيل... نادر المثال...

تناول زامدار قطعة القماش. وخطا نحو علي مردان مترنحاً. ولكنه لم يكد يدنو منه حتى توقف، أوقفه سؤال إنشق من مكان ما من أعماقه:

ماذا لو كان الأمر صحيحاً، وأن علي مردان يتحرك فعلاً؟؟

أوقعه هذا الهاجس في خوف وإرتباك، ولكي يتداركهما ويحجبهما عن الحاضرين...

أخرج سيجارة جديدة... وأخذ يشعلها من سيجارته التي لم تنتصف بعد.

وبيد مرتجفة ناول عرفان قطعة القماش. غطّوه، وأخذ يمتص أنفاساً عنيفة من سيجارته ويطلقها سحائب رقيقة، تلاشيها أنسام چوارچرا الأصيلية، وهو يشير اليهم ويوجههم، من موقفه، بأستاذية، بارعة، يُتقن إصطناعها وأداءها بطاقة تمثيلية، يغبطه الكثيرون عليها...

– برفق كاكه فازيل. برفق كاكه عرفان، لاتعصبوا عينيه. لاتسدوا أنفه...

لم يعبأ علي مردان هذه المرة، كثيرا، مادام بوسعه أن يرى ويتنفس، ثم إن الأمر كله لم يستغرق سوى دقائق بعدها ووفق مراسيم وطقوس إحتفالية خاصة، أزاحو، عنه القماش وعاد يتنفس الصعداء. ويكحّل عينيه بمرآى هذا الحشد الطيب من الناس... الزهو والامتنان... "من قال لاكرامة لنبيّ في وطنه؟ لعمري إنها لأكذوبة. الأوْلى أن يقولوا لاكرامة لنبي ولا لأيّ مخلوق إلا في وطنه، بين أهله وناسه" هاهي كردستان الحبيبة، أعود إليها بعد طول غياب، فتحنو عليَّ حنوّ الأم على وليدها، وتكرّمني تكريم الأبطال مثلما كانت بغداد الكريمة تفعل معي، والقاهرة أيضاً، منار الحضارة والفن و... وفلسطين العزيزة، الذبيح الجريح، التي غنّيتها وغنيت شعبها الشهيد في جنين وطول كرم، والقدس السليب، وفي ربوع الشام الغنّاء، ذات الربيع الدائم، فكل أرض طيبة حنون، هي وطن للفنان". إجتاحته إذ تذكر كل تلك الرحلات الى كل تلك الأوطان أوطانه أو بالأحرى وطنه، رغبة قوية في البكاء. فخراً وإعتزازاً، وأيضاً حباً وشوقاً، الى تلك الأمجاد الشواهد. الى تلك الأيام الخوالد، وذلك الماضي العتيد، المرصع بحب الناس. أينما رحل وحيثما حلّ. وبكى فعلاً، من فيض الإحساس بالسعادة بكى بحرقة، إلا إن دمعة واحدة لم تسقط من عينه، بالرغم من إنهما مفتوحتان الى آخرهما، مثلما لم يسمع أحد صوت نحيبه، مع إنهم قاب قوسين أو أدنى... وحده سمع صوت دموعه التي تنهمر، تغسل له روحه مما علق بها من حيف وبؤس وشظف العيش. وشح الأيام والحرمان. ويسقي في الوقت نفسه شتلات الأمل التي ترفع رؤوسها وتطل بورودها، عابقة بشذاها الحاضرين وقلوبهم.

توالى الخطباء، والمحدثون، يعرف بعضهم، وأكثرهم لم يحظ بشرف اللقاء بهم...

الكل يشيد به، ويسرد جوانب من فضائله، إنساناً ملتزماً، أخلاقياً كبيراً. حفظ شرف القراءة والأداء، متفرداً، رائداً للمقام، مبتكراً للعديد من فنونه. إستمع بزهو الى ماارواه المتحدثون عن أساطين المقام العراقي، من إشادة... وشهادة بدوره الطليعي البارز. روى سالار عن يوسف عمر إنه قد قال بحضوره وحضور آخرين "إن المقام هو علي مردان. وعلي مردان هو المقام. وهو أستاذه دون منازع" وأستمع الى باكوري، هذا التلميذ النجيب، الذي ينقط حديثه وفاء وتواضعاً، وزامدار أيضاً، الذي شرّق وغرّب، مستخرجاً حديثاً ثراً... جميلاً من خزين ذاكرته الوقادة... و... و... آخرون عديدون...

نفخت الأحاديث والكلمات... وذكريات الحاضرين عنه، الحياة، متدفقة في عروق تلك الليالي والأيام التي لاتنسى حين كان هو وأصدقاؤه يواصلون الليل بالنهار والنهار بالليل، في الأخذ والعطاء... في أجواء الفن والمقام والغناء. وفي فضاءات موسيقي الروح المعزوفة على أوتار القلب. وحلق به الحنين على أجنحته اللامرئية الى الحاضرين، بدقة وأمان، لعله يرى القبانچي الكبير. ويوسف عمر، وطاهر توفيق، وحسن زيرەک. وزهور حسين. ومريم خان. ونسرين شيروان... و... و... وكل أولئك الكواكب النيّرين، المشعّين في سماء الغناء وبقوة شوقه إليهم. وجموح مشاعره نحوهم، بدأ يستحضرهم...

يستحضر كل أولئك الذين لسبب أو لأسباب لايعرفها، لم يحضروا فوجد نفسه في حضرتهم وحضرة سيد علي أصغر، وحسن خيوكه. وعارف جزراوي ورسول گەردى، وشعّوبي، وجميل بشير والشباب الموهوبين حمه جزا، نصير شەمە. دلشاد، أنور قەرەداغى... و... و الشعراء الخالدين الذين تغنّى بقصائدهم، بێكەس، مەولەوى، خانێ، جزيرى، پيرەمێرد، گۆران... و...و... و...

ومن شدة فرحه وإبتهاجه بهم، وفرط إنشغاله بإستحضارهم وحضورهم... لم ينتبه الى أن چوارچرا، قد فرغت، وأن المدعوين قد إنسحبوا الى صالة الفندق، حيث الدفء والراحة والحوار الذي... سيتواصل حتماً، فيما بينهم، على موائد الطعام والشراب. وإذ إنتبه الى ذلك، إبتسم... وقال بروح سمحة!! هنيئاً مريئاً... كلوا وأشربوا هنيئاً مريئاً... وألف عافية" لم يخلّف فراقهم في نفسه إحساساً، بالفراغ، أو الوحدة، فقد كان مايزال ممتلئاً بالآخرين أصدقائه وأنداده

القدامي، يحلّق بهم الوجد معاً، في دنيا الطرب وفضاءات الروح اللامتناهية، يقرأ معهم، يستمع إليهم، يصغون إليه... وإذ غابت الشمس... وأقبل الليل، لم يهبط الظلام على حديقة القناديل الأربعة، حديقة چوارچرا... فقد كان ليلاً، مشرقاً... مضيئاً، أنار الحديقة بأربعة آلاف... أربعة ملايين، أربعين مليون قنديل وچرا... وبما لايعد ولا يحصى من الشموس، التي تمتص عتمة الليل الزاحف تشويها... وتعود تنشرها في أرجاء الحديقة وفي قلبه وروحه ضياءاً... دونها ضياءات ليالي نەوروز... لقد طاب اللقاء بوجودهم وأزهر... ولذّ الغناء والشراب فباتوا جميعاً... يغنون... يرقصون... يميسون نشوانين سكارى... وماهم بسكارى... فهم في حالة أكثر سمواً ورُقيّاً وجمالاً... من السكر...

في صالة الفندق، كان جلّ المدعوين، قد إنتهوا،أو أوشكوا أن ينتهوا من تناول شرابهم وطعامهم... وكفوا عن غنائهم العفوي الهادیء بدايةً والصاخب فيما بعد، والعائد الى الهدوء أخيراً، المتسم بتعدد الألوان والألحان، وتنوع الأصوات والأطوار. وإختلاف الإداءات والنبرات سليماً، جميلاً، بعض الأحيان... ونشازاً وقبيحاً معظم الأحيان وهو ينطلق من حناجرهم المخدّرة، على هواه، أو بالأحرى على هوى مقادير الشراب التي عبّها كل واحد منهم... كما توقفوا عن حواراتهم ومناقشاتهم الحماسية والحادة والعنيفة... وأيضاً، الرفيقة، اللينة المتراخية، التي لاتكاد كلماتها تغادر الشفتين المتعتبين... ولا تبلغ الآذان التي سدت الخمور... قنواتها.

حين غادروا متعتعين بالشراب لم يحفلوا بالليل الذي حلّ ببرده وظلامه، فقد كانوا ممتلئين بدفئهم الداخلي وإشعاعهم الروحي.

بعضهم يترنّح، لايقوى على التوازن الجسدي، حتى ليكاد يسقط على قفاه فيستنجد بأقرب كرسي أو حائط، أو صاحب، آخرون يسندون بعضهم بعضاً، حريصين ألاّ تزّل بهم أقدامهم، وهم جميعاً في قمة النشوة والسكر... والإمتنان لعلي مردان. في هذه الليلة الخالدة، الفريدة من العمر، التي دعوها. بإقتناع وإتفاق غير معلن... ليلة الخالد علي مردان".

فرغت الصالة إلاّ من باخوس ومريديه، هواة الأدب والفن، وعشاق الخمر وهو يطير بهم من أوڤيد الى بيّخهو. ومن أفلاطون الى ريّبين ومن لوكاش الى

غمبار... و من سوفوكل الى بيگرد، ومن رامبو الى زامدار نفسه، ومن أيلوار الى گوران... متنقلاً بين عشرات بل مئات الأسماء والمدارس والإتجاهات والتيارات، التي لا رابطة بينها ولا وشيجة. يطوف بلاحدّ، ولا قيد... وهؤلاء الفتية المتلهفون لمعرفة كل شيء، المبهورون به، يبحلقون فيه بعيون نصف مفتوحة. أتعبها النعاس. ويصغون إليه بعقول غيّبها الشراب. وأكثرهم لايصغون إليه، إنما يكتفون بالبحلقة فيه، وترديد كلمات أو عبارات متكسرة، تنطوي، أو توحي بالأعجاب، مما يلقم نيران حماس زامدار... وسيلان الكلام من فيه المتراخي، المزيد من الوقود... وزامدار نفسه، بعد قدح شرابه، الذي لايعرف رقمه في تسلسل الأقداح التي القاها في جوفه، لم يعد يهمه، إن كانوا يصغون إليه ويستوعبون مايقول. أم لا. قدر مايهمه أن يتقيأ، مايختزن في جوفه من كلام يتجدد ويتناسل ويتوالد... كل مساء، بل كل جلسة شراب في الليل والنهار.

ولا يكف عن ترديد لازمته "فشهيه" بين آونة وأخرى. وبمناسبة ودونها... كل شيء هراء حتى ما أقوله لكم... محض هراء...

ويفرغ كأسه في حلقة، الذي لم يفرغ إلا منذ ثوان حسب.

إقترب منهم النادل... وهو يقول بأدبٍ جم:

- اخوان... لقد عبرنا منتصف الليل والفجر يوشك أن ...

لم يدعه زامدار يطيل في إلتماسه. رفع كأسه الممتلئة دائماً، وأشار الى الآخرين أن يفعلوا مثله، وهتف ببغدادية متينة:

- "چعب" أبيض. في صحة الخالد علي مردان. وأضاف وهو يفرغ النصف الثاني من كأسه. ويشير الى النادل، وفي صحة هذا الشاب المؤدب الخلوق.

أعادوا الكؤوس، يابسة.

- هيا... يا شباب... وإنحنى أمام النادل... نرجو جميعاً قبول إعتذارنا...

أخفى قنينة العرق الجديدة، في حقيبته اليدوية، المنتفخة دائماً... بأوراق الكتّاب ونصوصهم... وعلب السجائر، وحين خرج حانت منه إلتفاتة الى أستاذة علي مردان، وبرقت في ذهنه فكرة لم يتوقف عندها ثانية واحدة

ليتأملها... بل أسرع، على الفور، الى تنفيذها... وأمر جماعته:

- تعالوا ياشباب نودّع ماموستا...

وإستدار نحوه فإستدار معه الآخرون، مباشرة، بآلية كأنهم فصيل جنود. وهم في حالة شديدة من الإعياء والسكر والنعاس...

وقف زامدار قبالته مترنحاً. وهمّ أن يلقى بنفسه عليه، يعانقه ويقبله. إلا أن اصدقاءه أمسكوا به بقوة... في الوقت المناسب. قبل فوات الأوان. إذ إنه سيسقط فوقه أشبه بجثة، فاقدة كل قدرة على التوازن والوقوف. فإتكا بظهره، على جذع شجرة. وبدلاً من أن يُحيّى أستاذه الروحي بإشارة، أو يتمنى له ليلة طيبة، ويودّعه ببضع كلمات ويرحل. أخرج قنينة العرق من حقيبته العتيدة، وبسخاء السكران وكرمه، قدّمها لأصحابه الذين أبوا أن يمسوها قبله. ولكنه أقسم بأغلظ الأيمان... والطلاق أيضاً، ألاّ يشرب قطرة واحدة، إلاّ بعد مايشرب أصغر واحد منهم... ناولها أحدهم، وأشعل سيجارة جديدة، وراح يأخذ منها أنفاساً عميقة... وهو يرنو الى علي مردان، بحزن مفاجيء، انبثق من مكان ما من وجدانه، دون أن يعرف له سبباً، ولم يلبث أن رفع عقيرته... بأداء واحد من أجمل وأقوى مقامات علي مردان، مغيراً ومحوراً فيه ما يشاء. وكما يشتهي... ومحدثا فيه من النشاز والإخلال بأصول الأداء وقوانينه... وإيقاعات الشعر وأوزانه. مالم ينزّل به الله من سلطان ولا جرؤ على إقترافه... حتى الشيطان:

ئەی (علی) من و تۆ هەردوو هاوەردین
هەردوو گرفتار یەک پێکی سەردین
تۆ وێڵ و ڕەنگ زەرد بەئاسمانەوە
منیش دەربەدەر بە (بار)ە کانەوە

و... وفجأة، بلا أية مقدمات، ولا سابق إنذار أو تنبيه، إنفجر كاكه باخوس ببكاءٍ حاد متشنّج... وبكلتا يديه راح يعصر عينه... ووجهه، حتى أن حقيبته التاريخية التي لاتفارقه أبداً، والتي لم يغلقها بعدما أخرج منها القنينة، سقطت من تحت إبطه، دون أن يشعر أو يحفل. فتطايرت قصاصات الورق المزروعة بالمحاولا ت الشعرية والقصصية والنقدية و... و... و... ماهي إلا ثوان حسب حتى سرت عدوى البكاء في الآخرين، وبدت حديقة چوارچرا التي

شهدت قبل سويعات فقط أجمل الطرب والغناء وأسعد الليالي وأشدّها إمتلاءً بالفرح والبهجة، على وشك أن تشهد أقبح النحيب والبكاء، عبر أبغض الأصوات اللامتآلفة، اللامنسجمة، في نشازٍ وإنتهاك لكل أصول الموسيقي والأداء، وأوقح إمتهان لقواعدها وقوانينها، لولا أن سارع زامدار نفسه الى تدارك الأمر، وتجنب وقوع كارثة تلوح في الأفق، بأن صاح بهم بغضب وإستنكار شديدين:

- ماهذا العويل؟ هل أنتم نساء؟

وسارع يمسح دموعه وهو يضيف:

- نحن الليلة في عرس، أجمل عرس، عرس أستاذنا الخالد علي مردان ألا تخجلون وأنتم في حضرته، تبكون وتنتحبون، ارقصوا... غنوا... اشربوا...

وإذ إفتقد القنينة... تساءل بقلق:

- أين القنينة...؟

خيّم على الجميع وجوم ثقيل. كاد يقتل في داخلهم بقايا السكر والنشوة. لم يجرؤ أي منهم أن يقول الحقيقة وهي أن القنينة فرغت "چعب أبيض" على طريقة باخوسهم. لولا أن أنقذهم صوت من خلف الأشجار أحياهم وأحيا فيهم النشوة والأمل بالمزيد من السكر والسهر.

- معي. القنينة معي أستاذ!

كان أحدهم قد تسلل خلال إحتفالية الدموع والنحيب وإبتاع قنينة جديدة، إبتسم زامدار. وقال مزهواً بأصدقائه، فخوراً بهم، متباهياً بحسن تدبيرهم وذكائهم "ئەی کورینة"... آه ياشباب، وسرعان ما رفع عقيرته بالغناء، بعد الجرعة الأولى، من فوهة القنينة، تبعه الآخرون في الغناء وجرعات العرق المتتالية... غنى لعلي مردان ثم تحول الى عبدالوهاب ثم إنتقل الى الأطرش... وخالقي، ومواملي، وشەمال صائب... وحتى فيروز القديسة والملاك الرقيقة، لم تنج من مكائده وبراثن صوته الخشن وفوضى أدائه وأداء جوقته الصاخبة...

أفاق علي مردان من أحلامه مقذوفاً، من سمائها اللامحدودة الى واقع فوضى الألحان والأصوات والصخب، وروائح الخمور والتبوغ المتنوعة، إلا أنه لم يغضب ولم يمتعض، إذ وجد أن باخوس هو الممّرض والقائد، إبتسم مشفقاً،

وراثياً تلك الأصوات الأصيلة والالحان الراقية التي تتكسر وتتهشم، بلا رحمة، عبر قنوات هذه الحناجر غير المدربة وغير المتمرسة، ولكن بدون سوء قصد، بل ببراءة وعفوية. وحاول بغيرته المشروعة وحرصه الشديد على الأداء السليم، أن يصلح من أدائهم المختل، مايمكن إصلاحه. ولكنه وجد ذلك مستحيلاً، فإكتفى بالإستماع إليهم. ومن حين الى حين، مشاركتهم همساً، ولشوانٍ حسب، كلما رأى مشاركته إياهم، لاتعد كفراً... يُدخل الإنسان ناراً... أشد من نار جهنم.

والشباب من حوله يزدادون نشوة وسكراً، وزامدار يصب على نيران حماسهم وسكرهم المتصاعدة المزيد من العرق... والمزيد من كلمات التشجيع واثارة النخوة وهو نفسه، بالرغم من سنواته الستين، وهيكله المتداعي وإنهاكه الجسدي وسكره الشديد، بدأ كأنه في سباق ماراثون مع الشباب، وطاب له أن ينافسهم بل وأن يتفوق عليهم...

- لا يقولنّ أحد منكم يا شباب، إنّ باخوس يمكن أن يتعب، أو ينهزم أمام أبنائه وأحفاده. هيا اشربوا وارقصوا... الليلة ليلة علي مردان الخالد...

فيزداد الشباب التهابا وحماساً، وإيغالاً في الشراب والصخب ويزداد هو لهاثاً... وسكراً... ولا مبالاة... بما يجري حوله...

وكان عمال الخفارة في الفندق، وبعض النزلاء الذين طار النوم من عيونهم، يتطلعون إليهم من خلف زجاج الصالة، بعضهم بفضول وحب إستطلاع وأكثرهم بضجر وإمتعاض وفراغ صبر، ورغبة مكبوتة في إلقائهم خارج الفندق... ولكن إحترامهم لشخص زامدار ومكانته الأدبية، يمنعهم من التصدي لهم.

"سوف ينال منهم التعب ويخلدون الى الهدوء، ويغادرون الى بيوتهم" بذلك كانوا يصبّرون أنفسهم ويؤملونها.

إلا أن سكنة المنازل المحيطة بالفندق، الذين ألجأهم إنقطاع التيار الكهربائي المزمن الى النوم فوق السطوح، الذين بوغتوا بهذا الصخب الذي لم يألفوه من قبل، والذي أخرجهم من عزّ النوم. كان لهم رأي آخر وتصرف آخر، إذ أستشاطوا غضباً وأخذوا يصرخون بهم ويأمرونهم بالكف عن ضجيجهم

وإقلاق راحتهم وإتلاف النوم في عيونهم. ولكن الشباب كانوا يزدادون ضراوة في صخبهم وفوضويتهم... فصاح أكثر من واحد من الجيران:

- لاجدوى مع هؤلاء السكارى، لابد من إستدعاء الشرطة.

وقبلما يبادروا الى تنفيذ تهديدهم، حذروهم بضع مرات آخر، ولكن أحداً منهم لم يحفل، فقد كانوا جميعاً قد بلغوا حالة إستثنائية من الإنسجام... أو بالأحرى الإندماج مع أنفسهم، ومع بعضهم البعض، لايسمعون غير أصواتهم هم، التي بالرغم من كل ما فيها قد أغلقت كل منافذ الإتصال بالعالم الخارجي، وقد سدّت الخمر آذانهم وأغلقت عيونهم، وألغت كل قدرة عندهم على التجاوب مع ماهو خارج أنفسهم، حتى إنهم، حين داهمتهم الشرطة، لم ينتبهوا إليهم، بالرغم من كل ما رافق مجيئهم من ضجيج وصخب وضوضاء.

حين أبصرهم زامدار من خلال عينيه اللتين أطبق أجفانهما النعاس والخمر والتعب، إلا قليلاً، حسبهم أصدقاء جدداً وفدوا الى مجلسهم في الهواء الطلق... فأسرع إليهم، هاشاً باشاً، ملوحاً لهم بقنينته التي إنتصفت بكلمات تخرج من شفتين لاتكادان تتلامسان

- ئەی بەخێربێن... أهلاً وسهلاً... خـ... خـ... خذ أيها الصديق... مـ... مـ... مصّة... تناول... أيها الزميل... جرعة... هيا... هيا... وحقّ باخوس... وزامدار... تشربون... اشربوا... هيا اشربوا يا إخوان...

عاجلة أحد أفراد الشرطة بضربة قوية من هراوته، فتهشمت الزجاجة وسفح العرق، وأصابت الشظايا وجهه، وجرحته من أكثر من موضع... ولكن الذي هال زامدار... ليس الدم الذي أخذ يسيل من صفحة وجهه، وإنما العرق، كل ماتبقى عندهم من العرق، قد أُهدر، على هذا النحو الظالم. فجُنَّ جنونه، وهجم، بكل ماتبقى فيه من غيظ وقوة، على الشرطي، ولكن... ضربة عاجلة أخرى من شرطيٍ آخر، أسقطته أرضاً... مضرّجاً بالدم... فصرخ علي مردان، يحتجُّ مذبوحاً على مايرى، ولكن أحداً لم يسمع صرخته، فأندفع الشباب هاجمين على الشرطة، وإشتبك الطرفان هنيهة قصيرة، في معركة غير متكافئة، تساقط إثرها الشباب، مثل باخوسهم، مضرّجين بالدم، صرخ علي مردان، مرة أخرى، بالشرطة وهو ينزف دماً "لا ياظلاّم... لاتضربوهم، إنهم أولا

دي إنهم أصدقائي" لم يستجب أي منهم لصرخاته، بل تمادى بعضهم وشرعت ضربات هراواتهم تصيبه هو نفسه. مما دفع بزامدار والشباب أن يتحاملوا على أوجاعهم وآلامهم... ويحيطوا بأستاذهم الخالد، سوراً بشرياً يتلقون الضربات بظهورهم، يتصدون لها بصدورهم، يدفعونها بأيديهم، يحمون علي مردان، بكل مايستطيعون. بكل مايقوون عليه، والشرطة لاتتوقف عن توجيه الضربات العنيفة اليهم بل ويزدادون عنفاً وتوحشاً، لاسيما بعد صياح واحد منهم، محاولا ً أن يبدو أكثرهم علماً ومعرفة:

– كفرة... أوغاد... عبدة أوثان وأصنام. في القرن الحادي والعشرين وثمه أناس بيننا يعبدون الأوثان والأصنام. اجلدوهم... ارجموهم... لاترحموهم...

كان علي مردان يتمزق، وهو يرى أولا ده يتساقطون متسربلين بدمائهم وليس بوسعه أن يفعل شيئاً للدفاع عنهم. ولا حتى دفع الأذى عنهم، فتفجرت عيناه، دموعاً مدراراً، من حصى وأحجار، حين شرع أفراد الشرطة يلتقطونهم، أشبه بالجثث. ويضعون الأصفاد والأغلال في أيديهم... وأقدامهم... وحتى أعناقهم... ويجرونّهم جراً، إيغالا في إذلالهم، وإمعاناً في تحقيرهم.

ففاض به الألم ولم يعد يطيق النظر إليهم وهم في هذه الحال، فرفع عينه الى السماء داعياً إياها... أن تطبق على الأرض بكل من عليها... ومافوقها، بما فيهم هو نفسه، بيد أن السماء هي الأخرى لم تستجب لدعائه، ظلت على حالها غير مبالية بالشرطة. وآلام أصدقائه. قيد شعرة، بل رآها... كأنها، تزداد اشراقاً... ونجومها المتوالدة، التي لاتكف عن التوالد والتكاثر، تزداد توهجاً وعدداً.

وإذ لمح القمر، أنيسه الدائم يجول بوجهه الشاحب الحزين، بدا له لسبب ما إنه يبكي حاله وحال أولا ده وماجرى لهم... فأخذ يشكو له... مرّ الشكوى، وهو مايزال يبكى:

"لقوا فعلوا بأولا دي... مالم يفعله الكفّار ببلال... آخ... آخ..."

وظل يتوغل في جروحه التي لن تندمل، بعد اليوم، يحلجها، ينبش فيها... وبنبرات يخنقها الدم والدمع الذي يتساقط حصى وحجراً... شرع يغنى... يغنى

أقوى من أقوى ما غنى ولكن بلاصوت... ولا نبرة... وللا... أحد... لنفسه حسب... ولوحدته التي قمّطته... فقط...

٢٠٠١-٢-١١

إشارات

* *نثارات حلم...، الأقلام*، ع ٩/ ١٠-١٩٩٢

* *الموت سداسياً*، نشرت في *مجلة الأقلام*، ع ١١- ١٩٧٠.

* *القوقعة*، نشرت في *جريدة التآخي*، ٣-١٠-١٩٦٧- تشرين١ تحت إسم "*الموت... كالآخرين*"

* *الجراد*، نشرت في *جريدة التآخي*، ع ٣٤٢-١٩٦٨- تموز

* *الشمس... الشمس*، *مجلة كل العرب* - ع ٢١٧-١٩٨٦

* *رماد فوق الجرح*، *الأقلام*، ع ٨-١٩٨٧

* *البيت*، *الأقلام*، ع ١٢/١١-١٩٨٨

* *الكلب العجوزمغمض العينين*، *الأقلام*، ع ٦/٥-١٩٩٣

* غيوم بلا مطر، *مجلة ألق* - ع١- ١٩٩٩

* *بضع صرخات من صراخ الصمت الأخرس*، *جريدة الجمهورية* - ١٩٩٥/٧/٢٢

للكاتب

اولاً: المسرحيات - المنشورة والمعروضة

١- (١٤ - نيسان) - نشرت في مجلة «صوت الطلبة» - بغداد - ١٩٥٩

٢- الحرباء * قدمتها فرقة «مسرح بعقوبة» - بعقوبة - ١٩٦٩ * اخرجها الفنان جيلة عبد الحميد * قدمتها فرقة «مسرح الصداقة» - بغداد - ١٩٦٩

٣- الاشارة * نشرت في جريدة «التآخي» - بغداد - ١٩٦٥ * قدمتها فرقة «مسرح المجددين» - بعقوبة - ١٩٦٨ * اخرجها الفنان سالم الزيدي

٤- السرّ * مطبعة «الغري» - النجف - ١٩٦٨ * قدمتها فرقة «نقابة المعلمين» - قاعة الخلد - بغداد - ١٩٦٨ * قدمت في معظم انحاء العراق * ترجمها الى اللغة الكردية الفنان نوزاد قادر * قدمتها فرقة «نقابة عمال الميناء» - السليمانية - ١٩٧٥ * اخرجها الفنان جليل زەنگەنە

٥- الجراد * من مطبوعات مطبعة «دار الساعة» - بغداد - ١٩٧٠ * نالت جائزة «الكتاب العراقي» - المربد - ١٩٧٠

٦- السؤال - او «حكاية الطبيب صفوان بن لبيب وماجرى له من العجيب والغريب» * قدمتها فرقة «مسرح اليوم» - بغداد - ١٩٧٥ * اخرجها الفنان الراحل الكبير الاستاذ جعفر علي * نالت جائزة «احسن نص مسرحي» ١٩٧٥ - ١٩٧٦ * طبعتها وزارة الثقافة والاعلام - بغداد - ١٩٧٦ * عرضت في انحاء عديدة من العراق * ترجمت الى اللغة الكردية * قدمتها فرقة «جمعية الفنون الكردية» - اربيل - ١٩٧٧ * اخرجها الفنان پيمان بي گود * قدمتها فرقة «مسرح الطليعة - الكويتي» - الكويت - ١٩٨٠ * اخرجها الفنان التونسي المنصف السويسي * شاركت بها الفرقة في مهرجان * قدمها مسرح «سيد درويش» - الاسكندرية - مصر - حزيران - ١٩٨٦ * اخرجها الفنان المصري محمد غنيم * قدمتها «جامعة الزقازيق» - جمهورية مصر العربية - اذار - ١٩٨٦ * اخرجها الفنان المصري صلاح مرعي * قدمتها فرقة «مسرح البحر» - الجزائر - ١٩٨٧ * قدمتها فرقة «مسرح الجامعيين» - البحرين - ١٩٨٨ * قدمت في انحاء اخرى من العالم العربي

٧- الاجازة * قدمتها فرقتا «مسرح بعقوبة - ومسرح ديالى» - بعقوبة - ١٩٧٧ * اخرجها الفنان سالم الزيدي * ترجمها الى اللغة الكردية الشاعر شێركۆ بێ كەس * قدمتها فرقة «مسرح الطليعة» - السليمانية - ١٩٧٨ * اخرجها الفنان احمد سالار * ترجمها الى اللغة الكردية مرة اخرى، الفنان «چەتو حسن» * قدمتها الفرقة «القومية للتمثيل» - اربيل - ١٩٨٩ * اخرجها الفنان تحسين شعبان * قدمتها الفرقة ثانية - في مهرجان «المسرح العربي» - بغداد - ١٩٨٩

٨- **في الخمس الخامس من القرن العشرين يحدث هذا!!** * نشرت في مجلة «الاقلام» - بغداد - اذار - ١٩٧٩ * قدمتها فرقة «مسرح اليوم» - بغداد - ١٩٧٩ * اخرجها الفنان عادل گورگيس * اعادت الفرقة عرضها في بعقوبة - ١٩٧٩ * نالت جائزة «النص العراقية» ١٩٧٩ - ١٩٨٠. * ترجمت الى اللغة الكردية. * قدمتها فرقة «الفنون الجميلة»- اربيل- ١٩٨٠. * أعادت عرضها في بغداد- ١٩٨٠. * قدمت في المغرب- ١٩٨٧. * قدمت في السودان- الخرطوم- ١٩٩٨. * قدمتها لجنة «مسرح الرشيد» - بغداد. * اخرجها الفنان سالم الزيدي.

٩- **اليمامة** * صدرت عن «اتحاد الكتاب العرب»- دمشق- ١٩٨٠.

١٠- **مساء السلامة ايها الزنوج البيض** * نشرت في مجلة «الثقافة»- بغداد- تشرين- ١٩٨١. * قدمت في المغرب - الدار البيضاء- ١٩٩١. * قدمتها لجنة «المسرح العراقي»- فرقة «مسرح ديالى»- ١٩٩٩. * قدمتها لجنة «المسرح العراقي»- منتدي المسرح- بغداد- ١٩٩٩. * اخرجها الفنان سالم الزيدي. * ترجمها الى اللغة الكردية الفنان ازاد برزنجي. * قدمت في معهد «الفنون الجميلة»- السليمانية- ١٩٨٨. * اخرجها الفنان ازاد برزنجي.

١١- **العلبة الحجرية** * قدمتها فرقة «مسرح اليوم»- ١٩٨٢. * اخرجها الفنان يوسف رشيد. * نالت جائزة افضل نص- ١٩٨٢-١٩٨٣. * نشرت في مجلة «الاقلام»- بغداد- آذار- ١٩٨٣. * قدمتها الفرقة «القومية للتمثيل»- بغداد- ١٩٨٨. * شاركت في مهرجان «المسرح العربي»- ١٩٨٨. * اخرجها الفنان فتحي زين العابدين. * قدمت في المغرب- الرباط- ١٩٩٨. * اخرجها الفنان المغربي عبدالكبير الركاكنة. * قدمتها الفرقة القومية مرة اخرى، في مهرجان المسرح العراقي الخامس بغداد- نيسان- ٢٠٠١. * اخرجها الفنان فتحي زين العابدين.

١٢- **لمن الزهور؟** * نشرت في مجلة كاروان- اربيل- حزيران- ١٩٨٣. * قدمت في مهرجان «بغداد الاول للمسرح العربي» - بغداد- ١٩٨٥. * اخرجها الفنان عزيز خيون. * ترجمها الى اللغة الكردية الكاتب ازاد برزنجي. * نشرتها مجلة «بيان»- بغداد- اذار- ١٩٨٩. * قدمها معهد «الفنون الجميلة»- السليمانية- ١٩٨٩. * قدمها منتدى المسرح- بغداد- ١٩٨٩.

١٣- **صراخ الصمت الاخرس** * قدمتها فرقتا المسرح الشعبي ومسرح اليوم- بغداد- ١٩٨٧. * اخرجها الفنان الدكتور عوني كرومي. * اعيد عرضها على قاعة الفنانين التشكيليين- بغداد- ١٩٨٨. * قدمت في عمان- الاردن- ١٩٩١. * اخرجها الفنان عوني كرومي. * نشرت في مجلة «فنون» الاردنية- العدد (١١-١٢)- ١٩٩٢. *

ترجمها الى اللغة الكردية الفنان كريم بياني. * نشرت في مجلة «سينما ومسرح»- اربيل- آذار- ١٩٩٩. * قدمتها فرقة «رڤند»- برلين- المانيا- ١٩٩٩. * اخرجها الفنان عوني كرومي.

١٤- **حكاية صديقين** * نشرت في مجلة «الاقلام»- بغداد- كانون الثاني- ١٩٨٦. * قدمتها فرقة المسرح الفني الحديث - شباط- ١٩٨٨. * شاركت في مهرجان «المسرح العربي»- ١٩٨٨. * اخرجها الفنان سامي عبدالحميد. * قدمت في البحرين- المنامة- ١٩٩٠.

١٥- **الحارس** * نشرت في جريدة العراق- تشرين الاول- ١٩٨٧. * قدمتها فرقة «نقابة الفنانين» ميسان- شباط- ١٩٨٨. * اخرجها الفنان مكي حداد. * شاركت في مهرجان «المسرح العربي» - ١٩٨٨. * نشرتها مجلة «البيان» - الكويت - ١٩٨٩. * ترجمها الى الكردية إسماعيل نور. * نشرت في «روڤار» العدد ٦ - ٢٠٠٠. * عرضت في أربيل.

١٦- **الأشواك** * نشرت في مجلة «الأقلام» بغداد - شباط - ١٩٨٨. * قدمتها الفرقة القومية للتمثيل - بغداد - آذار - ١٩٨٩. * شاركت في مهرجان «المسرح العربي» - ١٩٨٩. * أخرجتها الفنانة منتهى محمد رحيم. * نالت جائزة النص العراقي ١٩٨٩-١٩٩٠.

١٧- **تكلّم يا حجر** * نشرت في مجلة «الأقلام» بغداد - آذار - ١٩٨٩. * قدمتها الفرقة القومية للتمثيل - آذار - ١٩٨٩. * أخرجها الفنان وجدي العاني. * شاركت في مهرجان «المسرح العربي» - ١٩٨٩. * ترجمها الى اللغة الكردية الكاتب محمد عبدالرحمن زەنگەنه. * قدمت في أربيل - ١٩٩٩. * أخرجها الفنان طلعت سامان.

١٨- **كاوه دلدار** * مطبعة وأوفسيت حسام - بغداد - ١٩٨٩.

١٩- **العقاب** * نشرت في مجلة «الأقلام» - شباط - ١٩٩٠. * ترجمها الى اللغة الكردية الشاعر جمال غەمبار. * نشرت في «روڤار» العدد ٦ - السليمانية - ٢٠٠٠.

٢٠- **القطط** * نشرت في مجلة «الأديب المعاصر» - ميسان - ١٩٩٢. * قدمتها فرقة «مسرح ١٤ تموز» - ١٩٩٥. * أخرجها الفنان حسين جوير.

٢١- **موت فنان** * نشرت في مجلة «الأقلام» - آذار - ١٩٩٤.

٢٢- **هل تخضر الجذوع؟** * نشرت في جريدة «العراق» - تموز - ١٩٨٧.

٢٣- **مسرحيات** * صدرت عن دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - ١٩٩٤. * ثلاث مسرحيات في كتاب نالت جائزة أحسن كتاب، ١٩٩٤.

٢٤- **مساء السلامة أيها الزنوج البيض** * صدرت عن الأمانة العامة للثقافة والشباب - ١٩٨٨. ثلاث مسرحيات في كتاب

٢٥- **أردية الموت** * نشرت في مجلة «عشتار» غزة- فلسطين - عدد "٨" - ١٩٩٦.

٢٦- **سيأتي أحدهم** * نشرت في مجلة «الرواد» العدد الأول - ٢٠٠٠.

٢٧- **المائدة المستطيلة** * نشرت في جريدة «الزمن» نيسان - ٢٠٠٠.

٢٨- **رؤيا الملك** * من إصدارات وزارة الثقافة - ١٩٩٩. * قررت كلية التربية - جامعة ديالى إعتمادها مادة علمية في موضوع تحليل النصوص الأدبية نظراً لأهميتها الأدبية والفنية. * نالت جائزة الإبداع في الأدب المسرحي - ١٩٩٩.

٢٩- **مسرحيتان** * صدرت عن دار الحرية - بغداد - ٢٠٠١.

٣٠- **العانس** * نشرت في مجلة «ألق» عدد ٣ - ٢٠٠١.

ثانياً: الروايات

١- **هم أو يبقى الحب علاقة** * إتحاد الكتاب العرب - دمشق - ١٩٧٥.

٢- **ناسوس** * دار الساعة - بغداد - ١٩٧٧.

٣- **بحثاً عن مدينة أخرى** * إتحاد الكتاب العرب - دمشق - ١٩٨٠.

٤- **الموت... سداسياً** * مجلة «الأقلام» - بغداد - ١٩٧٠.

ثالثاً: القصص

١- **كتابات** * من منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٨٤. * ترجمها الى اللغة الكردية القاص غفور صالح. * صدرت في كتاب عن دار الثقافة والنشر باللغة الكردية - بغداد - ١٩٨٦.

- العديد من القصص والمقالات والدراسات النقدية والفكرية حول قضايا الأدبين العربي والكردي، التي نشرت في الصحف والمجلات المحلية والعربية والتي لم تجمع حتى الآن في كتاب.
- مسرحيات وروايات وقصص مازالت غير منشورة (مخطوطة).

الفهرست

نثارات حلم تبحث عن حالم 5

محاولة إقتناص حلم.....39

الموت سداسياً 80

القوقعة 131

الجراد.....147

الشمس... الشمس 162

رَماد فوق الجرح.....166

البيت.....179

الكلب العجوز مغمض العينين 199

غيوم بلا مطر! 216

بضع صرخات من صراخ الصمت الأخرس.....237

1- الغولة خرابكو!! 240

2- فقدان الذاكرة!.....245

3- الجنون والعقل 250

4- الأمم المتحدة تكافح الجائعين.....253

5- الجّزارون الشعراء... الشعراء الجزّارون.....258

علي مردان يتفجر بدموع من حصىً وحجر.....262